شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت
علم وخبر 287/ 2009

العدد الثامن عشر، السنة الثانية، ذو القعدة ١٤٣٢ - تشرين الأوّل ٢٠١١

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط
علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية وإسلامية. وأوروبا وأمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ١٠٠ ل.س. - العراق: ٢٠٠٠ دينار - مصر: ٥ جنيه - السودان: ٢٠٠ جنيه سوداني - المغرب: ٢٠ درهم - الجزائر: ٢٠ دينار - السعوديّة: ١٠ ريالات - تونس: ١،٥ دينار - اليمن: ٢٠٠ ريال - الأردن: ١ دينار - الإمارات: ١٠ دراهم- البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ ريالات - الكويت: ٧٥٠ فلس - عمان: ١ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
03/725246 - 01/544955
ص.ب: 25/5141
www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة:
تسديد الثّقافة بالذِّكر ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق :
مقام الإمام الرّضا عليه السلام ..... تحقيق: أحمد الحسيني ٨

مراقبات:
شهر ذي القعدة ..... إعداد: «شعائر» ١٣

أحسن الحديث:
آداب تلاوة القرآن الكريم ..... إعداد: «شعائر» ١٦
مقاربة لخمسة مفاهيم قرآنية ..... د. كمال عمران ١٨
سورة الإسراء ..... من دروس «المركز الإسلامي» ١٩

أيام الله:
مناسبات شهر ذي القعدة ..... إعداد: صافي رزق ٢١

وقال الرسول:
النّميمة ..... محمد ناصر ٢٤

حدود الله:
مسائل في الخمس ..... إعداد: «شعائر» ٢٥

يزكّيهم:
الدنيا المذمومة ..... مازن حمّودي ٢٦

الملف:
الإمام الجواد:الإعجاز، والتأسيس للمهدويّة
إستهلال ..... الصلاة على الإمام الجواد عليه السلام ٢٨
الإمام الجواد المعجزة ..... رواية الحافظ ابن حَجر الهيثمي ٢٩
قانون الإصطفاء الإلهي ..... السيد عدنان الحسيني ٣١
السّيرة والإعجاز: ملامح عامّة ..... إعداد: أسرة التحرير ٣٣
فرادة إعجاز نبيّين، وإمامين ..... الشيخ حسين كوراني ٣٧
نحو فهم أفضل للمعصوم ..... الشيخ محمد علي متولّيان ٤١

لولا دعاؤكم:
دعاء الإمام الرضا للشّدائد ..... إعداد: «شعائر» ٤٣

صاحب الأمر:
الإنتظار الحقيقي، ووهم الإنتظار ..... إعداد: علي بركات ٤٤

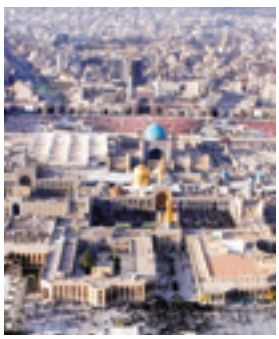

تحقيق:
مقام الإمام الرّضا عليه السلام

محتويات العدد

كتابا موقوتا: ركعتان يوم الجمعة ..... إعداد: خليل الشيخ علي ٤٦

يذكرون: من أذكار الصباح والمساء ..... إعداد: عبدالله النابلسي ٤٧

حوارات: لقاء مع آية الله نظري منفرد ..... إعداد: «شعائر» ٤٨

فكر و نظر: العلّامة مغنيّة: فيلسوفٌ يُسدِّدُه الفقيه ..... محمود حيدر ٥٢

كلمة سواء: من فقه التعايش ..... روح الله شريعتي ٥٧

أعلام: رئيس المحدّثين، الشيخ الصدوق ..... إعداد: أكرم زيدان ٥٨

وصايا: من وصايا العلّامة المجلسي ..... إعداد: علي حمّود ٦٢

مرابطة: اليهوديّة السياسيّة في تهافتها ..... محمود حيدر ٦٤

وثائق: قبل ٨٢ عاماً ..... إعداد: «شعائر» ٦٦

دوائر ثقافية: دوائر ثقافيّة: الفهرس ٦٧

موقف: في الإحياء الحضاري ..... د.محمّد عليّ آذرشب ٦٨

فرائد: أهل الفعل قليل ..... أسرة التحرير ٦٩

قراءة في كتاب: «الأمالي» للشيخ الطوسي ..... سلام ياسين ٧٠

السنن المهجورة: بَعْثُ الحَكَمين ..... الشيخ عباس كوراني ٧٢

مصطلحات: النبيّ والرّسول ..... إعداد: «شعائر» ٧٤

الوساطة ..... إعداد: خضر إبراهيم ٧٥

مفكرة: مفكرة ..... إعداد: جمال برّو ٧٦

إصدارات: إصدارات ..... ياسر حمادة ٧٨

أيها العزيز: في صورة الذَّرّ، أو الشيطان ..... الإمام الخميني قدّس سرّه ٨٢

بسملة

تسديد الثّقافة بالذِّكر

■ الشيخ حسين كوراني

«ما مِن شيء إلَّا وله حدٌّ ينتهي إليه إلَّا الذِّكر،
فليس له حدٌّ ينتهي إليه..»

الإمام الصادق عليه السلام

ثقافة كلّ فَرْد، هي حصيلة رحلته في الحياة والمعلومات. إنَّها القناعات التي عَقَد القلب عليها في ميادين النَّظريّة والتَّطبيق.

تعلَّم وسَمع، وحاوَر وفكَّر، أو مارس عمليَّاً في حركة الحياة، فقوَّم النَّتائج سلباً وإيجاباً، وانتهى إلى قناعاتٍ هي حصيلته.

أحبَّ القلبُ هذه الحصيلة. استَهْوَته. فإذا هي الدّافع المُحرِّك، النَّاظم لآرائه وسلوكه، الحاكِم على كلِّ ما عداه.

لا دلالة لهذا التَّعريف للثَّقافة على سلامتها، فهو مقارَبة للمعنى العامّ بمعزل عن المدح والذَّم. تماماً كما لو كان الحديث عن «السُّلوك» بمعناه العام. الثَّقافة هي «مُنطلَقات السُّلوك» وطبيعيٌّ أن تكون عامّة ومتنوِّعة، كما هو السُّلوك كذلك.

أجمل ما قيل في تعريف الثّقافة أنَّها «**ما تَتصرَّف على أساسه حين تَنسى كلّ شيء**».

قد يكون «ما نتصرَّف على أساسه» مُناقِضاً لثوابتنا العقليَّة، والسَّبب أنَّنا لم نَنقل هذه الثَّوابت من محكمة العقل الأمير، إلى صفحة القلب المُدير، فلمْ تَتحوَّل القناعة العقليَّة إلى هَوَى وحبّ يُلامس شِغاف القلب فيُعقَد عليه.

تتلازم الثَّقافة الفاضلة –إذاً– مع حقَّانيّة مصادرها، وابتنائها على أُسُس عقليّة تمَّ تشييدها بالدَّليل والبرهان. ما خَلا ذلك هو «ثقافة» تُشكِّل ناظماً وحاكِماً، إلَّا أنّها مبنيّة على باطل. هي عدوانٌ على الثّقافة الأصيلة، واحتلالٌ لحُصونها.

ربَّما فَسَّر ما تقدَّم، ندرة استعمال مفردة الثَّقافة بمعناها الرَّائج اليوم، قبل التَّمدُّد الثَّقافي الغربي والشَّرقي في البلاد العربيَّة.

مفردة «العلم» أسلم من «الثَّقافة». لا يكون مصدر العِلم إلَّا حقّاً، أمّا الثّقافة فقد لا تستند إلى دليل عقلي، بل الغالب فيها ذلك لدخول المصلحة في خطِّ الهوَى لتقْطع الطَّريق على القرار المبدئي، بِصَرف النَّظر عن المصلحة الشَّخصيّة.

***

يكفي لِتحصين «العِلم» الذي نتعلَّمه، الحثّ على «العمل به». قال عليّ عليه السلام: «**يا حَمَلة العلم اعملوا به، فإنَّما العالِم مَنْ عَمل بما عَلِم، ووافَق علمُه عَمَلَه، وسيكون أقوامٌ يَحملون العلم لا يُجاوز تراقيهم، يُخالف عَمَلُهم علمَهم وتُخالف سريرتُهم علانيتَهم، يَجلسون حلقاً فيُباهي بعضهم بعضاً، حتّى إنَّ الرَّجل لَيَغضب على جليسه أن يَجلس إلى غيره ويَدَعه، أولئك لا تَصعَد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله**».

لا يَصحّ في الثّقافة الحثّ على «العمل بها». لا بدّ –أوّلاً– من التّثبُّت من سلامة مصدر هذه الثّقافة، ولا بدَّ أيضاً من مواكبة هذه الثّقافة لتَسديدها. ميادين الحياة تُنسي الثّقافة أو تَستلبها. تحمل على التَّخلّي عنها وربّما التّنكُّر لها. تصحّ مقولة «الإستلاب الثّقافي» ولا تصحّ مقولة «الإستلاب العلمي». مَنْ نَسِي ثقافته الأصيلة واكتَسَب ثقافة دخيلة هو المُستلَب ثقافيّاً. نسيَ ثقافته أو تَخلّى عنها سعياً وراء تحقيق مصلحته، أو تنكَّر لثقافته، إلّا أنّه «**يَحسب أنّه يُحسن صُنعاً**».

مَن لا يَعمل بعلمه لا يضرُّ العِلم شيئاً. يبقى العِلمُ عِلماً، ويُدرك مَنْ لم يَلتزمه عمليّاً أنّه تجاوز الحدّ ﴿ **بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ** ﴾ القيامة:١٤. العِلم حقيقة ثابتة، والثّقافة تَخَلُّقٌ واتّصاف يَقبلان التَّحوُّل التَّدريجي الخفيّ والشَّديد الخفاء.

هكذا نُدرك خطورة إسباغ السَّلامة والتَّحضُّر والرُّقيّ الفِكري على «الثّقافة بالمُطلَق» واعتبارها رَديف العِلم.

نُدرك أيضاً إلحاح الحاجة إلى تسديد الثَّقافة الأصيلة والأصليَّة، وتحصينها من مخاطر الإستلاب النَّاجمة عن الإشتباك بدَورة الحياة والمصالح والعقبات، حتّى لا تَتبدَّل الثَّقافة تدريجاً. ﴿ ..**وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ** ﴾ البقرة:١٠٨.

***

من خصائص الرُّؤية الدِّينيّة في البُعد التَّثقيفي، دوام الذِّكر، وهو يعني صيانة العقيدة، وهي الثَّقافة التي أَيقن بها و«عَقَد القلب عليها». تَمتدُّ عمليّة الصِّيانة والتَّسديد هذه على كلِّ ساحة العُمر والنَّفْس والنَّفَس ﴿ ..**قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ** .. ﴾ آل عمران:١٩١. الثَّقافة الفاضلة والعقيدة المَبنيَّة بالدَّليل والبرهان، أَسمَى من أنْ تُختَزل في جانب من العُمر وتُحاصَر فيه، وأغلى من أن تُترَك لُقىً في مهبِّ رياح الحياة وأعاصيرها. إنَّها الحقُّ الزُّلال والصُّراح الذي يُصان نهْره ممّا يَمرّ به وفيه، فلا يلوَّث، أو يَأسن أو يَستحيل.

لا سبيل إلى ذلك إلّا بالجهاد الأكبر، وهو يَقظة دائمة بدوام الذِّكر، و«**خيرُ الأعمال أدومُها وإنْ قَلّ**». ما يُنقص من دوام الذِّكر هو الغفلة. الذِّكر القليل غفلة ونفاق: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾. النساء:١٤٢.

والنِّفاق هو التَّذبذُب بين العقيدة الحقّ وبين الباطل. قد يكون ابتداءً، وقد يَستجدّ نتيجة الإنشداد للسَّائد الثَّقافي الذي يَعمل أبداً على تلويث الثَّقافة الأصيلة وتحريفها واستلابها. والباب الذي يَتَسرّب منه التَّبدُّل الثَّقافي هو الغفلة عن دوام الذِّكر: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ الأعراف:٢٠١.

***

البصيرة رَهْن دَوام الذِّكر، والقلبيُّ منه هو الأصل، لكنّه لا يتحقَّق إلّا باللّسانيّ، وهو المقصود عند إطلاق الذِّكر. أبرز مَحاوره التَّهليل والتَّحميد، والتَّسبيح والتَّمجيد والإستغفار، وذِكْر المبدأ والمعاد. يجمعهما: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون**. ثمّة امتياز خاص لذِكر العرض على الله وهو ذِكْر الموت. ومِن مَحاور ذِكر الله تعالى، ذِكر مَنْ وما أمر الله بذِكره، وأبرز ملاحمه: **أللّهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمَّد**.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من الذِّكر شيء أفضل من قول لا إله إلّا الله، وما من الدُّعاء شيء أفضل من الإستغفار، ثمَّ تلا** ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ** .. ﴾ محمّد:١٩».

ليس الذَّاكر مؤمناً يُراكم رصيده من الحسنات، بل هو مؤمن يُثبِّت إيمانه، ويُعزِّز عقيدته، ويُسدِّد ثقافته الحقّ، ويُقوِّي نفسه في مواجهة مُنعطفات الحياة. تغييب ثقافة الذِّكر، قرار بالتَّثقيف بالغفلة، والرُّكون إلى الظِّلّ الزَّائل، واستبدال الدُّنيا بالآخرة، والكُفْر بالإيمان.

مقام الإمام الرِّضا عليه السلام

أنيس النُّفوس، المدفون بِأرض طُوس

مشهد عام لمقام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

تحقيق: أحمد الحسيني

مدينة طوس، هي مدينة «مشهد» كما تُعرف الآن، تبدَّل اسمها لأنَّ الإمام الرِّضا عليه السلام، استُشهد ودُفن فيها، وهي من أكثر مُدُن العالم استقبالاً لملايين الزّائرين على مدار السَّنة، وفي مواسم شهر رمضان وأشهُر محرَّم وصفر، وشهر رجب بوجه خاصّ. وفي تعاليم أهل البيت عليهم السلام، حثٌّ كبير على زيارته عليه السلام، وتفضيلها في شهر رجب على العُمرة الرَّجبيَّة، ولعلَّ من أسباب هذا الحثّ أنَّ خطّ الإمامة، بما تُمثِّل من امتداد للنّبوّة عبر الأوصياء، كانت قد تعرَّضت للقطع بسبب «الواقفة» الذين وقفوا على إمامة الإمام الكاظم عليه السلام.

بين يديك تحقيق حول مقام الإمام الرِّضا عليه السلام تقدِّمه «شعائر» في ذكرى ولادته عليه السلام.

كانت طوس مِن كُبريات مُدُن إيران ومِن أعظم مُدُن خراسان، وكانت تَشتمل على مدينتَيْن إحداهما طابران والأخرى نوقان، فُتِحت زمن عثمان بن عفّان.

أمّا مدينة مشهد، فقد عُرفت قديماً بإسم سناباد، وهي قرية صغيرة بالقرب من طوس التّاريخيّة، فيها الكثير من الآثار والمَزارات والمقامات، وسُمِّيت بـ (مشهد المقدّسة) نسبةً إلى مشهد الإمام الرِّضا عليه السلام.

لم تَأمن مدينة طوس من الدَّمار الشّامل الذي لحق بها جرّاء الحَملات العنيفة المتكرِّرة عليها في عام ٦١٧ هجريّة على أيْدي المغول، والأخرى بقيادة ميران شاه إبن تيمورلنك عام ٧٩١ هجريّة، ما أجبر النَّاس على الهجرة إلى مشهد، فتَوسَّعَت هذه القرية شيئاً فشيئاً حتّى بلَغت ذُروة ازدهارها في عهد الملك نادر شاه، الذي جعلها عاصمة له.

وتُعدُّ مدينة مشهد اليوم مركزاً صناعيّاً وتجاريّاً لإقليم خراسان، وهي تبعد عن العاصمة طهران ٩٢٤ كم، وتبلغ مساحتها ٢٠٠ كلم٢، وارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٩٧٠م، مناخها بارد في الشّتاء ومعتدل في الصّيف، ويبلغ عدد سكّانها مليوني نسمة.

المقام الرَّضوي

لمحة تاريخيّة

كان المكان الذي أُقيم فيه الضّريح الطّاهر، قبل وفاة الإمام، بناءً يعود إلى حميد بن قطبة الطّائي أحد قادة أبي مسلم الخراساني، وعندما مات هارون العباسي عام ١٩٣ هجريّة قُبِر فيه، وحينما استُشهد الإمام الرّضا عليه السلام سنة ٢٠٣ هجريّة دُفن في الموضع نفسه، وكان عليه قبّة، غير أنَّ هذه القبّة دُمِّرت عام ٣٨٠ هجريّة على يد الأمير سبكتكين، لكن السُّلطان محمود بن سبكتكين جدَّد بناء تلك الرَّوضة ثمّ قام ابنه مسعود بإضافة بعض الأبنية.

وقد جدّد بناء المقام أبو طاهر، سعد بن عليّ القمّي (ت ٥١٥ هجريّة)، وزير السُّلطان السلجوقي سنجر (ت ٥٥٢ هجريّة) الذي حكم خراسان وغزنة وما وراء النّهر.

ثمّ هُدِّم المقام مرّة أخرى أثناء حملات المَغول حيث لم يبقَ منه إلَّا القبّة، وأُعيد بناؤه هذه المرّة بأمر السُّلطان المَغولي -الذي استبصر-

صورة جويّة قديمة للعتبة الرضويّة قبل التوسعة الحديثة

محمّد خدابنده أولجايتو (ت ٧١٦ هجريّة) على النمط الذي يَصفه الرَّحالة المعروف ابن بطوطة بعدما زار المشهد سنة ٧٣٤ هجريّة حيث يقول: «وهناك قبّة رائعة ضخمة، ومدرسة ومسجد كبير، وكانت أرض هذه المباني وجدرانها تزدان بالقاشاني البديع، وكان يقوم فوق القبر ضريح من الفضّة، وكانت الأبواب المُفضَّضة، والقناديل الذّهبيّة والفضّيّة المُدلّاة من السُّقوف والسَّتائر الحريريّة المُسدلة على جوانب المكان، تزيد الوضع أبهَّةً وجلالاً».

ومنذ ذلك الحين لم يُواجه هذا المرقد خطراً، بل ازدادت عناية الأمراء والملوك به خاصّة الصَّفويِّين، لا سيّما الشّاه عبّاس الكبير،

من سيرة الإمام الرضا عليه السلام

وُلِد الإمام عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام بالمدينة المنوّرة عام ١٤٨ هجريّة، وتوفّي بطوس في بلاد خراسان عام ٢٠٣ هجريّة، بعدما أشخصه إليها المأمون إثر تولِّيه الحُكم عام ١٩٨ هجريّة.

والإمام الرِّضا عليه السلام ثامن الأئمّة الإثني عشر الذين لا تخلو الأرض من حُجّة لله تعالى على النّاس بهم، بلغ عليه السلام عند النّاس من الرِّفعة والمكانة العظيمة شأناً بعيداً، ومن الإقرار بِعِلمه ما أَذهل القاصي والدَّاني في عصرٍ احتَدَم فيه النِّقاش حول حقّ الإمام عليه السلام في تولّي الخلافة، وشهد انفتاحاً واسعاً على الثَّقافات التي أَتَت بها الأُمَم والأقوام الوافِدة إلى الإسلام إثْر الفُتوحات، أو تلك التي احتَكَّ بها المسلمون في أثناء أسفارهم وتجاراتهم. وقد شَهد هذا العصر فَوْرة كبيرة في تعريب مؤلّفات تلك الأُمَم الفكريّة والعلميّة.

لم يَدَع الإمام الرِّضا عليه السلام باباً من أبواب المعرفة إلَّا وطَرَقه، كما تَطرّق إلى مشكلات عصره الفكريّة، وحاجَّ الآخرين باللُّغات الشّائعة آنذاك، وبقوَّة الفِكر وسعَة معرفته في شتّى ألوان العلوم والفنون، فكان لا يُكلِّمه خَصْم من اليهود والنّصارى والمَجوس والصَّابئين والبراهمة والمُلحدين والدّهريّة، ولا خَصْم من فِرق المسلمين المخالفين إلَّا قَطعهُ وألزمهُ الحُجَّة، وكان النّاس يقولون: «والله إنّه أَوْلى بالخلافة من المأمون».

وقد استُشهد الإمام مسموماً في طوس، فحُمِل الجثمان الطَّاهر إلى قرية سناباد (مشهد الحاليّة) ودُفن في جانب القبلة من قبر هارون الرَّشيد، وكان المأمون يُريد بذلك أن يبقى أثر قبر أبيه ثابتاً لا يُمحى، وفي ذلك يقول دعبل الخزاعي:

قَبْران في طُوس خَيْرُ الخَلْقِ كلّهم
وقبر شَرِّهم هذا من العِبَرِ
ما ينفع الرِّجس من قُرْبِ الزَّكيِّ
وما على الزَّكيِّ بِقُرْبِ الرِّجس من ضَرَرِ

الذي أمر بترصيع القبّة بالذهب سنة ١٠١٠ هجريّة، وازدادت هدايا الزوّار والأعيان.

بناء الضّريح

لا يُعلم متى بُني سرداب للقبر وضريح لمزار الإمام الرّضا عليه السلام على الصُّورة التي نراها اليوم. ولكن من المسلَّم به أنّه لم يكن فوق القبر المطهَّر أيّ شبابيك أو محجّرات حتّى القرن الثامن الهجريّ، والمشهور أنَّ العصر الصفوي هو الذي شَهِد وَضع الضَّريح الطّاهر الذي تعرّض للتّغيير خمس مرّات:

الضَّريح الأوّل: ضريح خشبيّ، تُحيط به أحزمة فلزيّة، وهو مزيّن برقائق ذهبيّة وفضّيّة مُطعّمة، ويرجع زمن صناعته إلى عصر الشّاه طهماسب الصفوي (ت ٩٨٤ هجريّة).

الضَّريح الثّاني: هو ضريح حديدي مُرصَّع غير مسقوف يعُرف

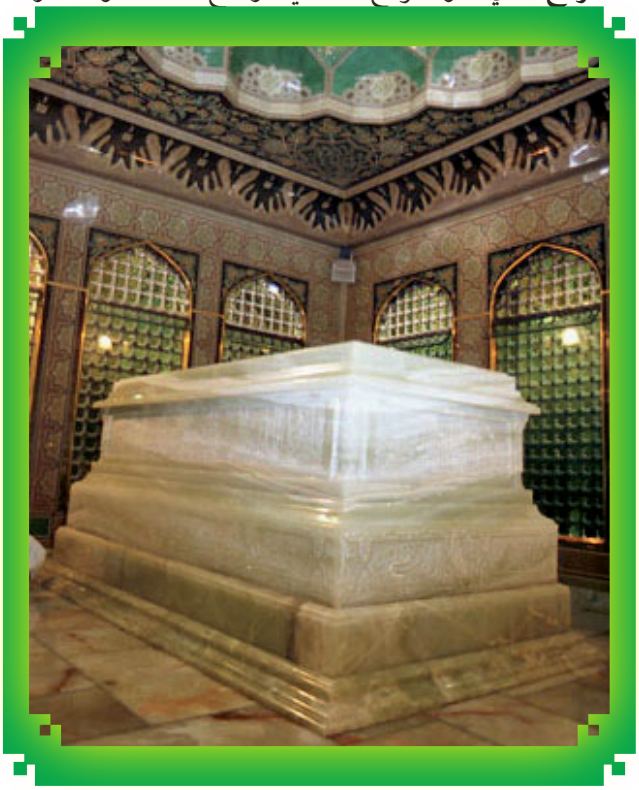

الضّريح المقدّس مغطّى بالمرمر

بضريح الزُّمرّد، نُصِب عام ١١٦٠ هجريّة بأمر شاهرخ بن رضا ميرزا إبن السُّلطان نادر شاه الأفشاري. وكان يحتوي على قباب صغيرة مربّعة ومتشابكة (عددها حوالي ٢٠٠٠ قبة)، وُضعت على كلٍّ منها سبيكة من الذَّهب زُيِّنت بأربع قطع من الياقوت وقطعة من الزُّمرّد.

الضَّريح الثّالث: في عهد السُّلطان فتح علي شاه ملك القاجاريين (ت ١٢٥٠ هجريّة) صُنع ضريح من الفولاذ ونُصِب فوق ضريح الزُّمرّد، وصُنِع سقفه من ورق الذَّهب، وطُلِيَ من الخارج بالذَّهب، ثمّ نُصِب عليه باب مُرصَّع.

الضَّريح الرّابع: نُصب هذا الضَّريح بإشراف المرحوم السيّد أبي الحسن حافظيان عام ١٣٨٠ هجريّة/ ١٩٥٩م. وهو مصنوع من الذَّهب والفضّة والحديد والخشب، ويَبلغ وزنه سبعة أطنان.

وتحتوي أضلاعه على ١٤ شبّاكاً تُتوِّجُها ١٨ صفيحةً مُحدّبة مَطْليّة بالذَّهب، كُتب عليها عدد من الآيات الكريمة، وأسماء الله الحسنى، والأحاديث الشَّريفة، وجملة من الأشعار باللُّغتَين الفارسيّة والعربيّة، وبخطوط متعدّدة.

وعلى مدى التّاريخ، أُهديت إلى العتبة الرّضويّة المقدّسة آلاف الأغطية القماشيّة البديعة للضَّريح، نُذرت أو أُوقفت، فثُبِّتت في سجلّات العتبة المقدّسة، ووُضع عدد منها في المتحف أو خزانة الإمام عليه السلام.

الضَّريح الخامس: بدأ العمل به عام ١٩٩٣م وتمّ نصبه عام ٢٠٠٠م، وحَضر مراسم افتتاحه وليُّ أمر المسلمين الإمام السيّد عليّ الخامنئي دام ظلّه.

وهو يشتمل على (١٤) محراباً رائعاً تيمّناً بعدد المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم، ترتبط عُقودُها من فوق بِقَوس محراب أصلي كبير، يحتضنها على نحوٍ مليء بالمعاني الرّوحيّة والدلالات التّعبّديّة. وينتهي القوس العُلوي للمحراب الكبير بلفظة الجلالة «الله».

وعلى الضَّريح كتاباتٍ فنيّة قيّمة نُقِشَت عليها أسماء الله الحسنى، واسم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وأسماء الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام. أمّا ما في الضَّريح الشَّريف من الزَّخارف التّوريقيّة والزّهريّة، فإنّها صُمِّمت ليكون المحوَر في إبداعها وهيئتها: العددان (٥) و(٨). فالعدد (٥) يشير إلى أصحاب الكساء الخمسة، في حين يشير العدد (٨) إلى الإمام الرّضا ثامن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وهذا الضَّريح المبارك الذي استغرق تصميمه حوالَي سبع سنوات هو من تصميم الفنّان الشهير الأستاذ محمود فرشچيان، أمّا الخطوط الفنّية، فهي من إبداع الخطّاط المعروف الأستاذ موحِّد.

ويقع مقرّ الضّريح الطّاهر حالياً في وسط الأبنية التّابعة، وهي عبارة عن صحن الدّار القديمة، والجديدة ومسجد كوهرشاد والأروقة

أمّا مساحة الأراضي التي يقوم عليها مقرّ الضّريح والمباني التي تحيط به فتبلغ مساحتها حوالي ٤٠٠٠٠ م٢، يقوم على ٥٠٤٠ م٢ منها الضّريح وأروقته، و٥٢١١ م٢ خُصِّصت للشّرفات المواجهة للشّوارع الجانبيّة، و٤٩٥٠ م٢ يحتلّها الصّحن الجديد، و٧١٥٠ م٢ الصّحن القديم، و٨٧٩٨ م٢ يقوم عليها مسجد كوهرشاد، و٨٠٠٠ م٢ يستقرّ عليها مبنى وصحن دار المتحف الرّضوي.

القبر المقدّس

تحت الضّريح المطهّر، سردابٌ يستقرّ فيه القبر الشّريف، طوله وعرضه بحدود مترين وثلاثين سنتم. وهناك سرداب محيط ينسحب من داخل الضّريح عن طريق نافذة صغيرة تقع تحت القدم المباركة للإمام الرضا عليه السلام. أمّا القبر الطّاهر فيستقرّ في جوف السّرداب الذي يقع على عمق عدّة أمتار عن سطح الأرض، وفوقه صندوق يتكوّن من إحدى عشرة قطعة من المرمر، وفوق الصّندوق عدد من المصاحف الشّريفة من بينها المصحف المنسوب إلى خطّ أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا أقدم حجرٍ رُئي موضوعاً على القبر الشّريف فكان قبل أكثر من تسعة قرون حسب شهادة الخبراء المتخصّصين، وهذا الحجر المرمريّ يُعدّ من الآثار القيّمة التي وصلت عن العصور القديمة، وعلى صفحته كتابات محفورة أشبه ما تكون بالخطّ الكوفيّ، يُعرف من خلالها تاريخ الحجر نفسه حين وُضع على القبر الشّريف.

وقد أُخرج هذا الحجر من السّرداب قبل عدّة سنوات ووُضع في متحف العتبة الرضويّة المقدّسة كصخرةٍ أثريّة مقدّسة نفيسة، لتكون عند مرأى الزّائرين والمحبّين الموالين للإمام الرضا عليه السلام، ولجميع المعنيّين بالشّؤون الأثريّة والتاريخيّة والمعماريّة، ثمّ نُصب مكانه على القبر الطّاهر حجر على يد قائد الثّورة الإسلاميّة الإمام السيّد عليّ الخامنئي دام ظلّه، وكُتب عليه نَسب الإمام الرضا عليه السلام، وعدد من الآيات القرآنيّة، وبيتان لدعبل الخزاعي:

وَقَبرٌ بِطُوس يا لَها مِن مُصِيبَةٍ ... أَلَحَّت عَلَى الأحشاءِ بِالـزَّفَراتِ

إِلَى الحَشرِ حَتّى يَبعَثَ اللهُ قائما ... يُفَـرِّجُ عَنّا الغَـمَّ وَالكُـرُبـاتِ.

وغير ذلك من الكتابات التي لا يتّسع المقام لذكرها.

القبّة والمنائر

يعود تاريخ بناء القبّة الأولى إلى القرن الهجري السّادس بأمر السلطان سنجر السلجوقي على يد شرف الدّين القمّي، وكان بناؤها -كما يذكر المؤرّخون- من القاشاني، ثمّ بُدّل بعد سنوات بصفائح ذهبيّة برّاقة، لكنها تعرّضت للسّلب من قبل الأزبكيّين، ثمّ جُدّد بناؤها، ورُصفت من جديد بصفائح الذّهب الخالص في العهد الصفوي حتى أخذت صورتها على ما نراها اليوم.

ولاحقاً بُنيت قبّة ثانية فوق القبّة الأُولى، مع ترك فاصلة تتخلّلها نوافذ عديدة. فصارت القبّة الشّريفة كأنّها تتكوّن من سقفَين، أو غطاءين: التّحتيّ منهما ذو منافذ تؤدّي إلى الفوقيّ، وهو مطلٌّ على الضّريح الطّاهر، وقد بُنيت تلك المنافذ على أشكال مُقعَّرة ومُقَرْنَصة. أمّا الغطاء الخارجيّ للقبّة، فهو مغطّى بالذّهب، مشعّ بأنواره الشمسيّة البهيّة من الخارج.

يبلغ إرتفاع القبّة من أرضيّة الحرم إلى أعلى نقطةٍ في قمّة المُحدَّب ٣١ متراً و٢٠ سنتيمتراً.

وللعتبة الرضويّة المقدّسة ثماني منائر مبنيّة بطراز يتّسم بالروعة والجمال والإرتفاع السامق. والملفت للنّظر أنّ القادم -من أيّ جهة أتى- يرى القبّة الشريفة تقع بين منارتين.

الأروقة

إلى جانب المرقد الرَّضوي أبنية مسقَّفة يُطلق عليها إسم الرّواق، ويبلغ عدد هذه الأروقة (٢٦) رواقاً بعضها تمّ إنشاؤها قبل الثّورة الإسلاميّة الإيرانيّة وبعضها بعد الثّورة.

من أشهر هذه الأروقة:

• **رواق دار الحفّاظ**: هو أقدم رواق في العتبة الرضويّة المقدّسة، بنته السيّدة كوهرشاد سنة ٨٤١ هجريّة متزامناً مع بناء المسجد الجامع المعروف باسمها (كوهرشاد).

خُصِّص هذا الرّواق للرجال، وأُعدّ لإقامة المراسم الخاصّة بتلاوة القرآن الكريم، تسبقها خطبةٌ موجّهة إلى حفّاظ العتبة الرضويّة المقدّسة.

• **رواق مسجد فوق الرأس**: هذا الرّواق من أقدم وأقرب الأروقة إلى جانب الضريح المنوّر، ويقع إلى الجانب الغربي منه. يعود تاريخ بنائه إلى عشرة قرون، ويصلّي المؤمنون والزوّار صلاة الزّيارة في هذا الرّواق.

• **رواق الشيخ البهائيّ**: يقع هذا الرّواق إلى جنوب شرقيّ الحرم الرضويّ المقدّس، محاذياً لدار العبادة، ومتّصلاً من ضلعه الشماليّ بساحة الحريّة [يأتي الحديث عن ساحات العتبة الرضوية]، ومتّصلاً بساحة الإمام الخمينيّ من ضلعه الجنوبيّ عن طريق ثلاثة أبواب. أمّا من جهته الشرقيّة فيقع رواق دار العبادة، ومن جهته الغربيّة يقع رواق دار الزُّهد. ويقع في وسطه قبر العالم الشهير الشيخ بهاء الدّين العامليّ، وقد نُقشت على صخرة قبره، وكذا على القاشانيّ الذي يكسو جدار الممرّ، نبذةٌ مختصرة عن حياته.

• **رواق دار الثّورة**: هذا الرّواق أكبر الأروقة التابعة للحرم الرّضوي ومساحته ٣٦٥٠ م٢، يقع شمال ساحة الثّورة الإسلاميّة. والجدير بالذّكر أنّ مساحة الأروقة التي أُنشئت قبل الثّورة الإسلاميّة كانت ٢٨٣٨ م٢، غير أنّ الأروقة التي تمّ بناؤها بعد الثّورة تتجاوز مساحتها ١٢٣٠٠ م٢.

الصُّحون أو الساحات

يتألّف الحرم الرّضوي الشّريف حالياً من خمس ساحات رئيسة، هي:

• **السّاحة القديمة** (الصحن العتيق) إسمها اليوم ساحة الثورة (صحن انقلاب) وتقع إلى الجهة الشماليّة من الحرم ويبلغ طولها

الإيوان الذّهبي في «ساحة الثّورة»

١٠٤م وعرضها ٦٤ م وتحوي أربعة أواوين، وفي وسطها حوض ماء، وفيها مرقد الشيخ الحرّ العاملي (صاحب وسائل الشيعة) رضوان الله عليه.

• **السّاحة الجديدة** أُنشئت عام ١٩٤٧م واسمها الآن ساحة الحريّة (صحن آزادي) وتقع إلى الجهة الشرقيّة من الحرم بطول ٥،٨١ م وعرض ٥١ م عرضاً، ويحوي هذا الصّحن أربعة أواوين.

• **ساحة المتحف (صحن موزة)** وسمّيت بعد الثّورة الإسلاميّة **بساحة الإمام (صحن إمام)** وتحوي بنايات المتحف والمكتبة والخزينة.

• **ساحة الجمهوريّة الإسلاميّة** (صحن جمهوري إسلامي) التي أقيمت بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة وتبلغ مساحتها ٢٥٠٠٠ م٢ وتقع إلى جانب مسجد (گوهرشاد) وتتّصل برواق دار السّيادة.

• **ساحة القدس (صحن قدس)** وتمّ إنشاؤها بعد الثورة الإسلاميّة وتقع أمام صحن الإمام ومسجد (گوهرشاد) وتبلغ مساحتها حوالي ٦٠٠٠٠ م٢.

المراكز العلميّة والثقافيّة التّابعة للعتبة الرضويّة

• **مؤسّسة التّحقيقات الإسلاميّة**: تأسّست عام ١٩٨٤م، وتضم أساتذة جامعيّين وباحثين يعملون ضمن عشرين مجموعة علميّة تخصّصيّة، وهي: القرآن، والكلام، والفلسفة، والفقه، ونهج البلاغة، والأديان، ومراجعة وتصحيح المخطوطات والكتب الإسلاميّة، والأدب، والثقافة الإسلاميّة، وجغرافية الدُّول الإسلاميّة، وكذلك التّرجمة للغات عديدة، وعلم الإجتماع، وعلم اللّغة والفنون الإسلاميّة، وأدب الأطفال، والتّاريخ الإسلامي والفلك والنّجوم، كما تصدر عنها مجلّة (مشكوة).

• **جامعة العلوم الإسلاميّة الرضويّة**: إفتُتحت عام ١٩٨٤م، من أهمّ أهدافها تربية وإعداد المفكّرين الإسلاميّين المتحدّثين باللُّغات الحيّة الموجودة في العالم، ليكونوا قادرين على إيصال الإسلام ومفاهيم الثّورة الإسلاميّة وعلوم أهل البيت عليهم السلام إلى الباحثين عن الحقيقة في كلّ أنحاء العالم.

• **مؤسّسة الطّباعة والنّشر**: تأسّست عام ١٩٨٣م، هدفها طباعة الكُتب الإسلاميّة وغير الإسلاميّة القيّمة، وقد جرى طباعة المئات منها في مواضيع مختلفة.

• **المكتبة الرضويّة (المركزيّة)**: تقع داخل الرّوضة الرضويّة، وهي مكتبة ضخمة تضمّ مجموعة هائلة من الكُتب والمخطوطات النّادرة يصل عددها إلى خمسمائة ألف كتاب بلغات عالميّة، ويبلغ عدد المخطوطات منها واحداً وثلاثين ألفاً.

ووفقاً لإحصاء عام ١٩٨٦م فإنّ المكتبة الرّضويّة ضمّت أكثر من ٢٠٠ ألف كتاب، وارتفع هذا العدد في السّنوات العشر الأخيرة إلى نصف مليون كتاب.

المتاحف

ومن المرافق الثقافيّة المتعلّقة بالنّشاط الثّقافي الدُّولي مديريّة شؤون المتاحف والمعارض، وتشرف على أربعة متاحف، أهمها:

• **المتحف الرّضوي (المركزي)**: إفتُتح عام ١٩٤٥م وكان حينها خارج الروضة الرّضوية، ومنذ عام ١٩٧٧م تمّ نقله إلى مكانه الحالي داخل الروضة وبمساحة (١٥٠٠) م٢ ويضمّ قطعاً نادرة وثمينة.

• **متحف القرآن الكريم**: بدأ عمله عام ١٩٨١م بجمع أكبر عدد ممكن من المصاحف المخطوطة قديماً، بعضها مدوّن بأيدي أئمّة أهل البيت عليهم السلام. وتمّ افتتاحه عام ١٩٨٥ تزامناً مع ذكرى انتصار الثّورة الإسلاميّة.

الأعلام المدفونون في الحَرَم الرضوي

دُفِن علماء وأناسٌ عظام وذوو مقامٍ رفيع بجوار مرقد الإمام الرضا صلوات الله عليه، وكانوا جميعهم من محبّي وخدّام العتبة الرّضويّة المقدّسة، من هؤلاء الأعلام: الشيخ البهائي العاملي، وآية الله العظمى الشّيخ محمّد تقي آملي، والحاج الشيخ غلام حسين التبريزي، والملّا عباس تربتي المعروف بالحاج الآخوند، والمرجع الديني في وقته السيد محمد هادي الميلاني، والعلّامة السيّد محمّد الحسين الحسيني الطّهراني، وآية الله الميرزا حسين السّبزواري، وآية الله الشيخ أبو الحسن الشيرازي (المقدسي)، والشيخ الطّبرسي (صاحب الإحتجاج)، والحاج الشيخ غلام رضا الطّبسي، والشيخ الحرّ العاملي، والشيخ هاشم القزويني، والعارف الفقيه الشيخ حسن علي الأصفهاني (نخودكي)، وغيرهم كُثر.

مراقبات شهر ذي القعدة

أبرزها: صلاة التوبة يوم الأحد، وأعمال يوم الدَّحْو

إعداد: «شعائر»

ذو القعدة، بفتح القاف: المرّة الواحدة من القعود، وبكسرها: نوعٌ منه. أوّل الأشهر الحُرم، وهو يلي شوّالاً، سمِّي به لأنَّ العرب كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغزو وطلب الكَلأ وشبهها.

روى السيّد ابن طاوس قدس سره أنّ شهر ذي القعدة موقع إجابة الدّعاء عند الشدّة، وهو موسمُ صلاة التوبة المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

من أبرز مناسباته ولادةُ الإمام الرضا وشهادته على رواية، وشهادة ابنه الإمام الجواد عليه السلام، ويومُ دَحْوِ الأرض من تحت الكعبة في الخامس والعشرين منه.

المراقبات: هذا أوّلُ الأشهر الحُرم التي حُرِّم فيها القتال مع الكفّار، والعاقل يتنبّه من ذلك إلى حُكم المحاربة والمخالفة مع الله جلّ جلاله. فاجتهدي يا نفس في حفظ قلبك وبدنك في هذه الأشهر -زيادةً على ما يجب في سائر الشهور- من مخالفة الله جلّ جلالُه في شيء من أحكامه، بل [اجتهدي يا نفْسُ] في الرضا بقضائه في ما يقتضيه لك من البلايا والمصائب.

عمل التوبة

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله صلاةٌ في يوم الأحد من هذا الشهر ذات فضل كثير. عن أنس بن مالك قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال: **يا أيّها الناس مَن كان منكم يريد التوبة؟** قلنا: كلّنا نريد التوبة يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: **اغتسلوا وتوضّأوا وصلّوا أربع ركعات** [كلّ ركعتين بتشهُّد وتسليم] **واقرؤوا في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرة و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات والمعوّذتين مرّة، ثمّ استغفروا سبعين مرّة، ثمّ اختموا بـ (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ)، ثمّ قولوا: يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَذُنُوبَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ أَنْتَ.**

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: ما مِن عبدٍ من أُمّتي فعلها إلّا نودي من السماء: يا عبد الله استأنف العمل فإنّك مقبول التوبة مغفور الذنب، وينادي ملَك من تحت العرش: أيّها العبد بورك عليك وعلى أهلك وذريّتك، وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد ترضى خصماؤك يوم القيامة، وينادي ملك آخر: أيّها العبد تموت على الإيمان، ولا يُسلب منك الدِّين، ويفسح في قبرك وينوّر فيه، وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد يرضى أبواك وإن كانا ساخطين، وغفر لأبويك ذلك ولذريّتك، وأنت في سعة من الرّزق في الدُّنيا والآخرة، وينادي جبرئيل عليه السلام: أنا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام أن يَرفق بك ولا يخدشك أثر الموت، إنّما تُخرج الرُّوح من جسدك سلّاً. قلنا: يا رسول الله لو أنَّ عبداً يقول في غير الشهر؟ فقال عليه السلام: **مثلَ ما وصفتُ، وإنّما علّمني جبرئيل عليه السلام هذه الكلمات أيّام أُسريَ بي».**

فضل صوم ثلاثة أيام من الشهر الحرام

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

* **«مَن صام من شهرٍ حرامٍ ثلاثةَ أيام: الخميس والجمعة والسبت، كتب اللهُ له عبادة سنة».**
* **«مَن صام هذه الثلاثة أيام كتب الله تبارك وتعالى له عبادة تسعمائة سنة، صيامَ نهارها وقيامَ ليلِها».**

اليوم الحادي عشر

في هذا اليوم من عام ١٤٨ هجريّة كانت ولادة الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في المدينة المنوّرة.

ليلة النِّصف

الإقبال: رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ في ذي القعدة ليلة مباركة، وهي ليلة خمس عشرة، ينظر الله إلى عباده المؤمنين فيها بالرَّحمة، أجرُ العامل فيها بطاعة الله أجر مائة سائح** [الصائم الملازم للمسجد] **لم يعصِ الله طرفة عين، فإذا كان نصف اللّيل فخُذ في العمل بطاعة الله والصلاة وطلب الحوائج، فقد رُوي أنّه لا يبقى أحد سأل الله فيها حاجة إلّا أعطاه**». أقول: فاغتنم نداء الله جلّ جلالُه لك إلى مجلس سعادتك وتشريفك بمجالستك ومشافهتك ومحلّ قضاء حاجتك، وفكّر لو كانت هذه المناداة من سلطان زمانك كيف تكون نشيطاً إلى الحضور بين يديه بغاية إمكانك، ولا يكن الله جلَّ جلالُه عندك دون هذه الحال، والذي قد عرضه الله جلَّ جلالُه عليك هو للدّنيا ولدار الدّوام والإقبال، والذي يدعوك إليه سلطان بلدك مكدّر بالمنّة والذِّلّة، ويؤول إلى الفناء والزّوال.

اليوم الثالث والعشرون

في اليوم الثالث والعشرين من سنة ٢٠٣ للهجرة توفي فيه الإمام الرضا عليه السلام على بعض الأقوال، ومن المسنون فيه زيارته عليه السلام من قُرب ومن بُعْد. قال السيّد ابن طاوس في (الإقبال): «ورأيت في بعض تصانيف أصحابنا العجم رضوان الله عليهم: أنّه يستحبّ أن يُزار مولانا الرِّضا عليه السلام يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة من قُرْب أو بُعْد ببعض زياراته المعروفة "..."».

اللّيلة الخامسة والعشرون

ليلةُ دَحْوِ الأَرْض [انبساط الأَرْض من تحت الكعبة على الماء] وهي ليلة شريفة تنزل فيها رحمة الله تعالى، وللقيام بالعبادة فيها أجر جزيل.

عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**إنّ أوّل رحمة نزلت من السماء إلى الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة، فمَن صام ذلك اليوم وقام تلك اللّيلة فلهُ عبادة مائة سنة، صام نهارَها وقام ليلَها، وأيُّما جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذِكْر ربهّم عزَّ وجلَّ لم يتفرَّقوا حتى يُعطوا سُؤْلَهم، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف رحمة** "..."».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة وُلد فيها ابراهيم عليه السلام ووُلد فيها عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها دُحيت الأَرْض من تحت الكعبة، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستّين شهراً**».

فضل اليوم الخامس والعشرين وأعماله

إقبال الأعمال: فمِن أعظم المنَن الجسام إنشاءُ الأرض للأنام، ومن أسرار ما في ذلك إنّ الله جلّ جلالُه لم يجعل بناء الأرض وتدبير إنشائها إلى ملائكته ولا غيرهم من خاصّته، وتولّاها بيد قدرته ورحمته، وملأها من كنوز حلمه وعفوه ورأفته. "..." وكن مشغولاً رحمَك اللهُ ذلك اليوم وغيره بالشُّكر له جلَّ جلالُه والتحميد والتمجيد. وإيّاك وأن يمرّ عليك مثل هذا اليوم وأنت متهاون بقدره، ومتغافل عن مولاك وعظيم شأنه، ومتشاغل عن واجب شكره، فتسقط من عين عنايته وتهون، وتدخل تحت ذلّ ذمّه جلَّ جلالُه لك في قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ يوسف:١٠٥.

أمّا أعماله:

١ - الصَّوم: وهو أحد الأيام الأربعة التي خُصَّت بالصيام بين أيام السنة. ورُوي أنّ كلّ شيءٍ بين السماء والأرض يستغفر لصائم هذا اليوم.

٢ - الغسل.

٣- ركعتان تُصلّى عند الضُّحى [بعد طلوع الشمس] بالحمد مرّة وسورة الشمس خمس مرّات، ويقول بعد التسليم: **لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ**.

ثمّ يدعو ويقول: يا مُقيلَ العَثَراتِ أَقِلْنِي عَثْرَتِي، يا مُجيبَ الدَّعَواتِ أَجِبْ دَعْوَتِي، يا سامِعَ الأَصْواتِ إسْمَعْ صَوْتِي وَارْحَمْنِي وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتِي وَما عِنْدِي، يا ذا الجَلالِ وَالإكْرام.

٤- الدعاء: أَللّهُمَّ داحِيَ الكَعْبَةِ وَفالِقَ الحَبَّةِ وَصارِفَ اللَّزْبَةِ وَكاشِفَ كُلِّ كُرْبَةٍ، أَسأَلُكَ فِي هذا اليَوْمِ مِنْ أَيّامِكَ الَّتِي أَعْظَمْتَ حَقَّها وَأَقْدَمْتَ سَبْقَها وَجَعَلْتَها عِنْدَ المُؤْمِنِينَ وَدِيعَةً وَإِلَيْكَ ذَرِيعَةً وَبِرَحْمَتِكَ الوَسِيعَةِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ المُنْتَجَبِ فِي المِيثاقِ القَرِيبِ يَوْمَ التَّلاقِ فاتِقِ كُلِّ رَتْقٍ وَداعٍ إِلى كُلِّ حَقٍّ وَعَلى أَهْلِ بَيْتِهِ الأَطْهارِ الهُداةِ المَنارِ دَعائِمِ الجَبّارِ وَوُلاةِ الجَنَّةِ وَالنّارِ، وَأَعْطِنا فِي يَوْمِنا هذا مِنْ عَطائِكَ المَخْزُونِ غَيْرَ مَقْطُوعٍ وَلا مَمْنُوعٍ، تَجْمَعُ لَنا بِهِ التَّوْبَةَ وَحُسْنَ الأَوْبَةِ، يا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مَرْجُوٍّ يا كافِيُّ يا وافِيُّ، يا مَنْ لُطْفُهُ خَفِيٌّ أُلْطُفْ لِي بِلُطْفِكَ وَأَسْعِدْنِي بِعَفْوِكَ وَأَيِّدْنِي بِنَصْرِكَ وَلا تُنْسِنِي كَرِيمَ ذِكْرِكَ بِوُلاةِ أَمْرِكَ وَحَفَظَةِ سِرِّكَ، وَاحْفَظْنِي مِنْ شَوائِبِ (شوايب) الدَّهْرِ إلى يَوْمِ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ، وَأَشْهِدْنِي أَوْلِيائَكَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِي وَحُلُولِ رَمْسِي وَانْقِطاعِ عَمَلِي وَانْقِضاءِ أَجَلِي.

أَللّهُمَّ وَاذْكُرْنِي عَلى طُولِ البِلى إِذا حَلَلْتُ بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرى وَنَسِيَنِي النّاسُونَ مِنَ الوَرى، وَأَحْلِلْنِي دارَ المُقامَةِ وَبَوِّئْنِي مَنْزِلَ الكَرامَةِ وَاجْعَلْنِي مِنْ مُرافِقِي أَوْلِيائِكَ وَأَهْلِ اجْتِبائِكَ وَاصْطِفائِكَ، وَبارِكْ لِي فِي لِقائِكَ وَارْزُقْنِي حُسْنَ العَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الأَجَلِ بَرِيئاً مِنَ الزَّلَلِ وَسُوءِ الخَطَلِ.

أَللّهُمَّ وَأَوْرِدْنِي حَوْضَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَاسْقِنِي مِنْهُ مَشْرَباً رَوِيّاً سائِغاً هَنِيئاً لا أَظْمأُ بَعْدَهُ وَلا أُحَلَّأُ وِرْدَهُ وَلا عَنْهُ أُذادُ، وَاجْعَلْهُ لِي خَيْرَ زادٍ وَأَوْفى مِيعادٍ يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ.

أَللّهُمَّ وَالْعَنْ جَبابِرَةَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَبِحُقُوقِ (ولحقوق) أَوْلِيائِكَ المُسْتَأْثَرِينَ، أَللّهُمَّ وَاقْصِمْ دَعائِمَهُمْ وَأَهْلِكْ أَشْياعَهُمْ وَعامِلَهُمْ وَعَجِّلْ مَهالِكَهُمْ وَاسْلُبْهُمْ مَمالِكَهُمْ وَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ مَسالِكَهُمْ وَالْعَنْ مُساهِمَهُمْ وَمُشارِكَهُمْ.

أَللّهُمَّ وَعَجِّلْ فَرَجَ أَوْلِيائِكَ وَارْدُدْ عَلَيْهِمْ مَظالِمَهُمْ وَأَظْهِرْ بِالحَقِّ قائِمَهُمْ وَاجْعَلْهُ لِدِينِكَ مُنْتَصِراً وَبِأَمْرِكَ فِي أَعْدائِكَ مُؤْتَمِراً.

أَللّهُمَّ احْفُفْهُ بِمَلائِكَةِ النَّصْرِ وَبِما أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مِنَ الأَمْرِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ مُنْتَقِماً لَكَ حَتّى تَرْضى وَيَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلى يَدَيْهِ جَدِيداً غَضّاً، وَيَمْحَضَ الحَقَّ مَحْضاً وَيَرْفُضَ الباطِلَ رَفْضاً.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ آبائِهِ وَاجْعَلْنا مِنْ صَحْبِهِ وَأُسْرَتِهِ وَابْعَثْنا فِي كَرَّتِهِ حَتّى نَكُونَ فِي زَمانِهِ مِنْ أَعْوانِهِ، أَللّهُمَّ أَدْرِكْ بِنا قِيامَهُ وَأَشْهِدْنا أَيّامَهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَارْدُدْ إِلَيْنا سَلامَهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ (عليهم) وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

٥- أورد السيّد الداماد قدس سره في رسالته المسمّاة (الأَربعة أيّام) في خلال أعمال يوم دحو الأَرض إنّ زيارة الإمام الرضا عليه السلام في هذا اليوم هي آكدُ آدابه المسنونة.

اليوم الأخير

في هذا اليوم من سنة مائتين وعشرين على المشهور استُشهد أبو جعفر الثاني، الإمام محمّد بن عليّ التقيّ الجواد عليه السلام في بغداد، وقد سمّه المعتصم بالله العباسي، وكانت شهادته بعد سنتين ونصف السنة من هلاك المأمون، وكان الإمام عليه السلام قد أخبر بذلك مسبقاً حيث قال: «**الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً**».

وقد استُشهد الإمام الجواد عليه السلام وله من العمر خمس وعشرون سنة وبضعة أشهر، ويقع قبره الشريف في مقابر قريش، خلف قبر جدّه باب الحوائج الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام في الكاظميّة ضاحية بغداد.

تلاوة القرآن الكريم

آدابُ القلب والجوارح

إعداد: «شعائر»

(التحفة السنيّة) كتاب مخطوط للعالم الفقيه والأديب السيّد عبدالله بن نعمة الله الجزائري المتوفّى سنة ١١٧٣ هجريّة، وهو شرح لكتاب (النخبة المحسنيّة) للمرحوم الملّا محسن الفيض، وفيه الحلال والحرام والسُّنن والآداب، وقد اقتطفنا منه –بتصرّف يسير– بعض ما يرتبط بفضل تلاوة القرآن وآدابها الباطنيّة والظاهريّة.

وردَ في الأخبار أنّ من استمع حرفاً من القرآن مثل: ألف، ولام، وميم، أو قرأ فيه نظَراً من غير صوت فَلَهُ به حسنة، ومحوُ سيئة، ورفعُ درجة. ومَن تعلّم منه حرفاً ظاهراً، أو قرأه في غير صلاة، فَلَهُ به عشرة أمثال ذلك، ومَن قرأه في صلاته جالساً فخمسون مثله، وقائماً فمائة، ومن ختمَه كلَّه فله دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة. ورُوي أكثر من ذلك.

وحقُّ تلاوة القرآن أن يتأدّب القارىء بـالآداب الباطنة والظاهرة، وذلك بأن ينوي بالقراءة إيناسَ السرّ بالله عن وحشة الدنيا، وقضاءَ حقّ الشوق بالمناجاة معه عزّ وجلّ، ومخاطبتَه واستماعَ خطابِه. وإنّ للمشتاقين بكتاب الحبيب الودود وتَردادِ كلامه، وما يجدون في ذلك من الحلاوة والطلاوة، لَفَرَحاً وشُغلاً شاغلاً.

وحقُّ التلاوة أيضاً ضبطُ أحكامِ العبوديّة من الأوامر والنواهي، والحدود، والبشارات والإنذارات، وغير ذلك. وحقُّ التلاوة أن يتطهّر، فإنّ للمتطهّر خمساً وعشرين حسنة، ولغيره عشر حسنات، ويتطيّب، فإنّ الملائكة تحضره، ويتأدّب بأحسن الأدب وهو من جملة التعظيم. ويجوز الاضطجاع أحياناً رُخصةً سيّما لذوي الأعذار، وأن يتعوّذ من الشيطان في ابتداء قراءته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل:٩٨، والأفضل أن ينظر في المصحف وإنْ كان حافظاً عن ظهر قلبه، لأنّ النظر فيه عبادة كما في رواية إسحاق بن عمّار، وَوَرد أنّه ليس شيءٌ أشدّ على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً، وأنّ القارىء فيه يُمتَّعُ ببصره، ويُخفَّف العذاب عن والديه وإنْ كانا كافرَين، وأن يقرأ في كلّ يوم لا أقلّ من خمسين آية، وَلْيَكُن ذلك إذا أصبحَ بعد التعقيب، ولا يختم في أقلّ من شهر، لأنّ القرآن لا يُقرأ هَذْرَمَة، أي سرعةً إلّا في شهر رمضان، لأنّ له حقّاً وحُرمةً ولا يُشبهه شيءٌ من الشهور، فيُكثر التلاوة فيه، فيختم القرآنَ في كلّ ستّ ليال أو ثلاث، وأن يرتّله ترتيلاً كما ورد الأمرُ به في قوله تعالى: ﴿..وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزّمل:٤، وفُسّر الترتيل في حديث أمير المؤمنين عليه السلام بحفظ الوقوف وبيان الحروف، وفُسّر الأوّل بالوقف التامّ والحَسَن، والثاني بالإتيان بصفات الحروف المعتبرَة؛ من الجهر، والهَمْس، والإطباق، والاستعلاء وغيرها.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**إحذَرْ أن تقعَ من إقامتِك حروفَه في تَضييع حدودِه**».

وحقُّ تلاوته أيضاً أنْ يُقرأ بصوتٍ حَسَن، فإنّه حِليةُ القرآن. وعن أبي عبد الله عليه السلام في الترتيل: «**هو أن تمكثَ وتُحسّن به صوتَك**» و«**إنّ القرآنَ نزلَ بالحزنِ فاقرأوه بالحزن**»، وأن لا يهذُّه هذَّ الشِّعر كما في رواية أخرى، ولا ينثره نثْرَ الدَّقَل كما في حديث ابن مسعود. والهذُّ سرعة القراءة، أي لا يُسرع فيه كما يُسرع في قراءة الشِّعر، ولا يفرّق بين كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كالدَّقَل، وهو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسمٌ خاصّ، فتراه لِيَبَسِه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً. وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تنثرْه نثْرَ الرَّمْل**»، وهو أوضح، وكان التعبير به أولى، ولا يكون همُّه آخرَ السورة، للنّهي عنه فيه، وهو كناية عن العجلة والتبرُّم، ويعظّم [القارىء] القرآن فإنّه من أعظم شعائر الله، وهو من الحقوق الواجبة على غير القارىء أيضاً، والإستخفاف به ربّما يكون كفراً.

في التّأسيس القرآني للأخلاق العمليّة

مقاربة لخمسة مفاهيم

د. كمال عمران*

في إطار بحث مطوّل للباحث والمفكّر التونسي د. كمال عمران، اختارت «شعائر» هذا النصّ الذي يدور على التأسيس القرآني للأخلاق العمليّة.

وقد سعى الكاتب إلى الإضاءة على خمس قواعد معرفيّة وأخلاقيّة تؤسّس لمفاهيم أساسيّة مثل: مفهوم التيسير، مفهوم الإكراه، مفهوم الظّلم، مفهوم المشيئة، ومفهوم الحرَج.

يُعتبر مفهوم التَّيسير أصلاً من أصول المفاهيم القرآنيّة الجوهريّة، وله وجهان؛ عامٌّ وخاصّ. ويتعلّق الوجه الخاص بالتّديُّن، وقد دعا النّبيُّ ﷺ إلى اليُسرِ بدل العُسرِ، ولَخَّصَ المعنى في قوله: «**يَسّرا ولا تُعَسِّرا**». ولهذا الفهم وظيفة إجتماعيّة مُبيَّنة، تدحض تصوّراً يتوهّم أنّ التّشدُّد ورعٌ، وأنّ القسوة على المؤمن رحمةٌ مُدَّخرةٌ. وهي تؤسّس على سلوك اجتماعي لا يَتعالى على الحقيقة البشريّة، ولا يَتنكَّر للحدود الآدميّة، وهي تقتضي التّدرُّج الموضوعي من درجة الإيمان إلى درجة التّقوى، وصولاً إلى الإحسان، وهو كما جاء في حديث جبريل «**أن تعبد الله كأنّك تراه**». والتّيسير تصوُّر يؤدّي إلى طريقه في السُّلوك والتّصرّف.

وأمّا الوجه العامّ فهو يكمن في اليُسر المتأتّي بعد العُسر، أو هو الملازم له، كما جاء في الآية ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح:٦، وهو حالٌ يشمُل كلّ أوجُه الحياة التي يعيشُها المُسلِم.

مفهوم الإكراه

نفت الآية ١٨٥ من سورة البقرة الإكراه في الدِّين، وهو الفَرْض والتّعسُّف، بل إنَّ من أبرز مظاهر التّكريم التي يمرّ بها الإنسان، هو تكريم المسؤوليّة الإنسانيّة والإرادة البشريّة، وينُصّ الخطاب القرآني على وظيفة البيان: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ الرّحمن:١-٤، فجلّى الرّشد والمسالك المؤدِّية إليه، وأفصح عن الغيِّ والسّبل المُفضية إليه، ويبقى الإختيار للإنسان صرفاً، ولا إكراه.

ومن هذه الزّاوية تتّضح الرّسالة القرآنيّة، ولا نظنّ أنّ هذه الآية المتعلّقة بنفي الإكراه خارجة عن اللّفظ/ النصّ، وهو كما جاء عند الغزالي في (المستصفى): «ما لا يحتمل التّأويل لشدّة ظهوره». فهل يجوز فَرْض الدِّين بعدما سطَّرت الآية المنهجيّة الملائمة في الدّعوة.

مفهوم الظُّلم

يُعتبر الظُّلم في المُعجم القرآني مقولة ذات أهميّة توجيهيّة خطيرة. فدلالة الظّلم مُنَوّطة بالشّرك: ﴿..إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:١٣. وهي مقترنة بالفساد، باعتباره ازوراراً عن الإعتدال والوسطيّة، إسراعاً إلى الإفراط أو التّفريط. والآية ٥٧ من سورة آل عمران ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دالّة على المعنى، وفاتحة لأبواب محيطة به واسعة.

مفهوم المشيئة

وَرَد فِعْل «شاء» في القرآن وروداً يَنسج نواة دلاليّة بعيدة الأغوار، وقوامها على التّعاضد بين المشيئة الإلهيّة والمشيئة الإنسانيّة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ..﴾ الإنسان:٣٠. إنّ الإرادة الإلهيّة هي المُعلِنة للإرادة البشريّة، وهي مقولة قرآنيّة جوهريّة، تدعم فكرة المسؤوليّة، وتجعل للإنسان مساحة

* كاتب وأكاديمي من تونس

للتدبُّر، والإختيار الواعي، والإضطلاع بآثاره النّافذة. والإختيار في الآية ٢٩ من سورة الكهف ﴿.. فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ..﴾ مناط المشيئة، وتكريم إلهي للإنسان بما أتاح له من قدرة على الإختيار.

مفهوم الحَرَج

من المفاهيم الأساسيّة الواردة في دلالات القرآن الدّعوة إلى رفع الحَرَج، وهو معنى ناجمٍ عن أسبابٍ، نُلخّصها في عناصر:

الحَرَج درجة قائمة بين ضفَّتَي اليُسر والعُسر، فإذا ألححنا عسفاً على الحَرَج، يتحوّل إلى عسر، وإذا لطفنا في مقتضيات الحَرَج يُسرع نحو اليُسْر. وهو بهذا التّفسير نزوع نحو الإعتدال، وحرص على رفع المشقّة، ولا شكّ في كَونه من معاني الرّحمة والسّماحة.

الحَرَج درجة من درجات التّخفيف في صورة تجاوزه، ولعلّ من أبرز الأدلّة على هذا المعنى التدرُّج في فرض الصّلاة من خمسين إلى خمس. ومن مظاهر التّخفيف ما يترتّب على السّفر من رُخَص في الصّلاة والصّوم، وما يتّصل بأحكام الحجّ.

لعلّ من أبرز مظاهر السّماحة في رفع الحَرَج ودفعه في آن، الأبواب المفتوحة للتّوبة والنّصوح، وهي تَجبُّ ما قبلها وتعلن تطهيراً كلّيّاً يستدعي الإستقامة.

عبّر أبو حيّان التّوحيدي في الفصل (١٢) من (الإشارات الإلهيّة) عن فكرة جليلة، لَخّص بها الشّعور الذي يَنتاب المؤمن عندما يتمكّن من السُّبل المؤدّية إلى التّقوى، ومؤدّى الفكرة عبارة «سعادة المؤمن»، ونرى في هذا التّعبير إفصاحاً عن مظهر التّفاؤل القائم على أرضيّة جماليّة.

فدفع الحَرَج من المعاني الجعليّة المبيَّنة في الخطاب القرآني، وفي ذلك أمارة على أنّ التّسامح منظومة متكاملة، لا يتسنّى اجتزاء أيّ عنصر منها. والآيات في هذا السّياق كثيرة، تتآزر في مستويَيْن: مستوى القَوْل ﴿..وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ..﴾ البقرة:٨٣، وفي مستوى العمل والفعل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ..﴾ العصر:٣. ولعلّ أفصح دليل على ما نذهب إليه ما بناه القرآن من موازنة بين رؤيتَين وسبيلَين.

الرّؤية الأولى: هي سبيل الرّحمة، وقد لخّصتها الآيات من سورة الفرقان ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان:٦٣. وقد أسّس القرآن لدلالة الصّفة في كلمة الرّحمٰن منظوراً جديداً، ينفرد به المسلمون، لأسبابٍ مُتعدِّدةٍ، منها ما يعود إلى العبارة ذاتها، وهي مخصوصة بالله وحده، وهي تُطلق في المُعجم القرآني على أُمّة النّبيّ، باعتبار صفة الرّحيم مشتقّة من الرّحمة، وهي عبارة عامّة لجميع البشر. ولا تخصّ عبارة الرّحمٰن إلّا المؤمنين من المسلمين، وهو ما ذهب إليه في تفسير (التّحرير والتّنوير) الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور. ومنها ما ترسمه آيات الفرقان من سلوك للمسلمين، يَنبني على مفهوم التّراحم، وهو شامل للسُّلوك المادّي والتّصوُّر الذّهني. وإذا ربطنا الرّحمة باشتقاق لها من فعل رَحم، وهو يحيل إلى (أرحم) المؤدّي إلى دلالة الوشائج، فإنّ المعنى لن يخرج عن دائرة المجتمع، إذ إنّ المساحة اللّازمة له إنّما هي الممارسة.

الرُّؤية الثّانية: هي الجاهليّة، بوصفها نمطاً في العيش، وسلوكاً في الحياة، يُفهمان بالصُّورة المقابلة. ويقابل في هذه الآية عبادَ الرَّحمٰن الجاهلون، ويقابل الهونَ الشّدةُ والبطش، ويقابل السَّلام القتال والثّأر. وهي مقابلة فيها طرف منطوق به، والطّرف الآخر مسكوت عنه.

إنّ سكوت الخطاب القرآني عن صِفات الجاهلين، وعن المبادئ التي يحملون دلالة على رؤية يُعبِّر فيها السُّكوت عن الرّفض، بل عن الإسراع إلى الدّحض والنّقض. فالإفصاح عن خصال عباد الرّحمن إشادة ودعوة وموقف يَبنيان صورة للوجود وللعلاقات، قوامها الرّحمة، وهي القاعدة، بل هي النّواة التي تجذب إليها ما يحفّ حولها من فروع، وهي القِيَم الملازمة، كالإلفة، والتّعاطُف، والتّعاضُد، والتّكافل، والتّسامح أيضاً.

كلّ هذه القِيَم تحتاج إلى قراءة متجدِّدة للقرآن، تستأنس بما يتوصّل إليه العقل البشري من المناهج والطُّرق في العلوم الإنسانيّة.

موجز في التَّفسير

سورة الإسراء

من دروس «المركز الإسلامي»

السُّورة السَّابعة عشرة في ترتيب سُوَر المصحف الشَّريف، آياتها مائة وإحدى عشرة، وهي مكّيّة، سمّيت بسورة «بني إسرائيل» لأنّ قسماً مهمّاً في بدايتها ونهايتها يرتبط بالحديث عن بني إسرائيل، وسُمّيت بسورة «الإسراء» لأنّ الآية الأولى فيها تتحدّث عن إسراء ومعراج النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وسمّيت بـ «سبحان» لأنّها تبدأ بهذه الكلمة المباركة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ..﴾.

تَعكس السُّورة في مضمونها ومحتواها العقائدي والأخلاقي والإجتماعي، لوحة متكاملة ومتناسِقة لسموّ وتكامُل البَشَر في المجالات المختلفة. وهي تبدأ بـ «تسبيح الله» عزّ وجلّ وتنتهي بـ «الحمد والتّكبير». والتّسبيح هو تنزيه عن كلّ عَيْب ونَقْص، والحمد علامة على تحقُّق صفات الفضيلة وتمثُّلها في ذاته العليا المقدَّسة، بينما التَّكبير هو رمز الشَّرف والعَظَمة.

هدف السُّورة

«تفسير الميزان»: تتعرّض هذه السُّورة لأمر تنزيه الله تعالى عن الشَّريك مطلقاً، "..." ويغلبُ فيها جانب التَّسبيح على جانب التَّحميد كما بُدئت به فقيل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ..﴾ الآية:١، وكُرِّر ذلك فيها مرّة بعد مرّة كقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ ..﴾ الآية:٤٣، وقوله: ﴿..قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ..﴾ الآية:٩٣، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا ..﴾ الآية: ١٠٨، حتّى أنّ الآية الخاتمة للسُّورة: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ الآية:١١١، تحمد الله على تنزّهه عن الشَّريك والوليّ واتّخاذ الولد. وقد افتُتحت السورة في ما ترومه من التَّسبيح، بالإشارة إلى معراج النبيّ صلى الله عليه وآله، فذُكِر إسراؤه صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ثواب قراءتها

«تفسير مجمع البيان»: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن قرأ سورة بني إسرائيل، فرَقَّ قلبُه عند ذكر الوالدين** [إشارة إلى قوله تعالى فيها: ﴿ ۞ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ..﴾ وما بعده]، **أُعطي في الجنّة قِنطارَيْن من الأجر، والقنطار ألف أوقيّة ومائتا أوقيّة. والأوقيّة منها خير من الدُّنيا وما فيها**».

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ قرأ سورة بني إسرائيل في كلّ ليلة جمعة لم يمُت حتّى يُدرك القائم ويكون من أصحابه**».

خلاصة السُّورة

«تفسير الأمثل»: إنّ محتوى السُّورة يوافق خصوصيّات السُّوَر المكّيّة، من قبيل تركيزها على قضيّة التَّوحيد والمعاد، ومواجهة إشكاليّات الشِّرك والظُّلم. وبالإمكان فرزُ المَحاوِر المهمّة الآتية التي يدور حولها مضمون السُّورة:

أوّلاً: الإشارة إلى أدلّة النُّبوّة الخاتمة وبراهينها، وفي مقدّمها معجزة القرآن وقضيّة المعراج.

ثانياً: ثمّة بُحوث في السُّورة ترتبط بقضيّة المعاد وما يرتبط به من حديث عن صحيفة الأعمال، وقضيّة الثَّواب والعقاب المترتِّب على نتيجة الجزاء.

ثالثاً: تَتحدَّث السُّورة في بدايتها ونهايتها عن قسم من تاريخ بني إسرائيل المليء بالأحداث.

رابعاً: تتعرّض السُّورة إلى حرّية الإختيار لدى الإنسان، وأنّ الإنسان غير مُجبر في أعماله، وبالتّالي فإنّ عليه أن يتحمّل مسؤوليّة تلك الحرّية من خلال تحمّله لمسؤوليّة أعماله، سواء كانت حسنة أم سيّئة.

خامساً: تُشير إلى الحقوق في المستويات المختلفة، خصوصاً في ما يتعلّق بحقوق الأقرباء، وبالأخصّ منهم الأمّ والأبّ.

سادساً: تتعرّض السُّورة إلى حُرمة الإسراف، والتَّبذير، والبخل، وقتل الأبناء، والزِّنا، وأكل مال اليتيم، والبَخس في المكيال، والتَّكبُّر، وإراقة الدِّماء.

سابعاً: تُواجه السُّورة مواقف العناد والمكابَرة إزاء الحقّ، وأنّ الذُّنوب تتحوّل إلى حُجُب تمنع الإنسان من رؤية الحقّ.

ثامناً: تركّز السُّورة على أفضليّة الإنسان على سائر الموجودات.

تاسعاً: تؤكّد السُّورة على تأثير القرآن الكريم في مُعالجة الأشكال المختلفة من الأمراض الأخلاقيّة والإجتماعيّة، وعلى كَوْنه معجزة يَعجز الخصوم عن مُواجهتها.

عاشراً: تُحذّر السُّورة المؤمنين من وساوس الشَّيطان وإغواءاته، وتُنبّههم إلى المسالك التي يَنفذ من خلالها إلى شخصيّة المؤمن.

تفسير آيات منها

«**نور الثقلين**»: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ..﴾ الإسراء:٩، الإمام الصادق عليه السلام: «**يَهدي إلى الإمام**».

* قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ..﴾ الإسراء:١٣، الإمام الباقر عليه السلام: «**خيرُه وشرُّه معه حيث كان، لا يستطيع فراقه حتى يُعطى كتابه يوم القيامة بِما عَمل**».

* قوله تعالى: ﴿..وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا..﴾ الإسراء:٢٣، الإمام الصادق عليه السلام: «**الإحسان أن تُحسن صُحبتَهما، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك** [ممّا يحتاجان إليه] **وإنْ كانا مُستغنيَين، أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ..﴾** آل عمران:٩٢».

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء:٣٢، الإمام الرّضا عليه السلام: «**وحرّم الزّنا لِما فيه من الفساد من قتل الأنفُس، وذهاب الأنساب، وترك التَّربية للأطفال، وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد**».

* قوله تعالى: ﴿..وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الإسراء:٣٣، سُئل الإمام الكاظم عليه السلام: فما هذا الإسراف الذي نهى الله عنه؟ قال: «**نهى أن يُقتل غير قاتلِه، أو يمثّل بالقاتل**» قال الرّاوي: فما معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾؟ قال عليه السلام: «**وأيّ نصرةٍ أعظم من أن يُدفع القاتل إلى أولياء المقتول، فيقتله ولا تَبِعةَ تَلزمه مِن قتله في دينٍ ولا دنيا**».

* قوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء:٣٦، الإمام الصادق عليه السلام: «**يُسأل السَّمع عمّا سَمع، والبصر عمّا نَظر إليه، والفؤاد عمّا عُقد عليه**».

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا..﴾ الإسراء:٣٧، الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها، وفرّقه فيها، وفرض على الرِّجلَين أن لا يَمشي (يُمشى) بهما إلى شيء من معاصي الله، وفَرَض عليهما المشي إلى ما يُرضي الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾**» الإسراء:٣٧.

* قوله تعالى: ﴿..وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء:٤٦، الإمام الصادق عليه السلام: «**كَتَموا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فَنِعمَ والله الأسماء كَتَموها، كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دَخل إلى منزله واجتمَعَت عليه قريش يَجهر ببسم الله الرَّحمن الرَّحيم ويرفع بها صوته، فتُولّي قريش فراراً، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك ﴿..ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء:٤٦**».

* قوله تعالى مخاطباً إبليس: ﴿..وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ..﴾ الإسراء:٦٤، رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فإن فتّشته لم تجدْه إلّا لَغية أو شرك شيطان**». قيل: يا رسول الله وفي النّاس شرك شيطان؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**أمَا تقرأ قَوْل الله عزّ وجلّ: ﴿..وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ..﴾ الإسراء:٦٤**». وعن الصادق عليه السلام: «**مَنْ لم يُبالِ ما قال ولا ما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومَنْ لم يبالِ أن يراه النّاس مُسيئاً فهو شرك شيطان، ومَن اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان، ومن شُغف بمحبّة الحرام وشهوة الزّنا فهو شرك شيطان**».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ.. وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا..﴾ الإسراء:٧٠، الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس من دابّة ولا طاير إلّا تأكل وتشرب بفِيها، ولا ترفع يَدها إلى فيها طعاماً وشراباً غير ابن آدم، فإنّه يَرفع إلى فيه بيده طعامه، فهذا من التّفضيل**».

* قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ..﴾ الإسراء:٧٢، الإمام الباقر عليه السلام: «**مَنْ لم يدلّه خَلْق السَّماوات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، ودَوَران الفَلك والشَّمس والقمر، والآيات العجيبات، على أنّ وراء ذلك أمراً أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً**».

* قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء:٧٩، الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الرَّجل ليَكذب الكذبة فيُحرَم بها صلاة اللّيل، فإذا حُرم صلاة اللّيل حُرم بها الرِّزق**». وعنه عليه السلام: «**عليكم بصلاة اللّيل فإنّها سنّة نبيّكم، ودَأْب الصّالحين قبلكم، ومطردة الدّاء عن أجسادكم**».

* قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤، الإمام الصادق عليه السلام: «**النيّة أفضل من العمل، ألَا وإنّ النيّة هي العمل، ثم تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾** [قال] **يعني على نِيّته**».

مناسبات شهر ذي القعدة

إعداد: صافي رزق

١ ذي القعدة

* ١٧٣ هجريّة: ولادة السيّدة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليه السلام.
* ٦ هجريّة: صلح الحُديبية.

١١ ذي القعدة/ ١٤٨ هجريّة

ولادة الإمام الرضا عليه السلام في المدينة المنوّرة.

١٢ ذي القعدة/ ٥ هجريّة

حصار النبيّ صلّى الله عليه وآله لبني قريظة.

٢٣ ذي القعدة/ ٢٠٣ هجريّة

شهادة الإمام الرضا عليه السلام (على رواية)

٢٥ ذي القعدة

* دَحْو الأرض، ونزول الحجر الأسود وقواعد الكعبة من الجنّة.
* ١٠ هجريّة: خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع.

٣٠ ذي القعدة/ ٢٢٠ هجريّة

شهادة الإمام الجواد عليه السلام.

أبرز مناسبات ذي القعدة

خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع، ولادة وشهادة الإمام الرضا عليه السلام، شهادة الإمام الجواد عليه السلام، ولادة السيّدة فاطمة المعصومة، ودَحو الأرض.

بعد تقديم فهرس بتواريخ المناسبات تحت عنوان مناسبات الشهر الهجري، تقدِّم «شعائر» مختصَراً وافياً، حول أبرز مناسبات شهر ذي القعدة، من دون الإلتزام بالتسلسل التاريخي، بل بحسب تسلسل المعصومين، يتبع ذلك الحديث عن غيرهم عليهم السلام.

اليوم الخامس والعشرون
خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حجة الوداع، ويوم دَحو الأرض

أَجمعَ رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهاجره، وأذّن في النّاس بذلك، فقدِم المدينة خلقٌ كثير يأتمّون به في حِجّته تلك التي يُقال عليها «حِجّة الوداع»، و«حجّة الإسلام»، و«حجّة البلاغ»، و«حجّة الكمال»، و«حجّة التمام». ".." فخرج صلى الله عليه وآله من المدينة مغتسِلاً، متدهِّناً، مترجّلاً، متجرّداً في ثوبين صَحارِيَّين: إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ أو ستٍّ بقين من ذي القعدة، وأَخرجَ معه نساءه كلّهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامّة المهاجرين والأنصار، ومَن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس.

وعند خروجه صلى الله عليه وآله أصاب الناس بالمدينة جُدَريٌّ أو حَصبة منعتْ كثيراً من الناس من الحجّ معه صلى الله عليه وآله، ومع ذلك كان معه جموعٌ لا يعلمها إلّا الله تعالى، وقد يُقال: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويُقال أكثر من ذلك، وهذه عدّة مَن خرج معه، وأما الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك؛ كالمُقيمين بمكّة والذين أتوا من اليمن مع عليّ أمير المؤمنين عليه السلام. (عن موسوعة الغدير للعلامة الأميني)

***

* أبو حمزة الثمالي: قلت لأبي جعفر [الباقر] عليه السلام في المسجد الحرام: لأيّ شيء سمّاه الله العتيق؟ فقال: «**إنّه ليس من بيت وضعَه الله على وجه الأرض إلّا له ربّ وسكّان يسكنونه غير هذا البيت، فإنّه لا ربّ له إلّا الله عزّ وجلّ وهو الحرام، ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلقه قبل الأرض، ثم خلق الأرض من بعده فدحاها من تحته**». (الكافي، الكليني)

* الإمام الباقر عليه السلام: «**لمّا أراد الله تعالى أن يخلق الارض أمر الرّياح فضربنَ وجه الماء حتى صار موجاً، ثم أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلاً من زبَد، ثمّ دحا الأرض من تحته، وهو قول الله تعالى**: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا..﴾ آل عمران:٩٦».

اليوم الحادي عشر
ولادة الإمام الرضا عليه السلام

وأمّه [أمّ الإمام الرضا عليه السلام] "..." كانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لحميدة [جدّة الإمام الرّضا]، حتّى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها، وكان الرضا رضي الله عنه "..." تامّ البدن فقالت أمّه: أعينوني بمرضعة. فقيل لها: أينقص درّك؟ قالت: ما نقص درّي ولكن عليّ وردٌ من صلاتي وتحميدي وتسبيحي. وقالت: لمّا حملتُ بابني عليّ الرضا لم أشعر بثقل الحمل، وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً من بطني، فلمّا وضعتُه وقع إلى الأرض واضعاً يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، محرّكاً شفتيه كأنّه يناجي ربّه، فدخل أبوه فقال لي: **هنيئاً لك كرامة ربّك عزّ وجلّ**، فناولتُه إيّاه، فأذّن في أذنه اليُمنى وأقام في

اليسرى، فحنّكه بماء الفرات. [أنظر: باب «تحقيق» من هذا العدد]. (ينابيع المودة،القندوزي الحنفي)

اليوم الثالث والعشرون
شهادة الإمام الرضا عليه السلام

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ستُدفن بضعة منّي بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلّا أوجب الله عزّ وجلّ له الجنّة، وحرّم جسده على النار**».

* الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلَف الملائكة، فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن يُنفخ في الصور**». فقيل له: يا بن رسول الله، وأيّة بقعة هذه؟ قال: «**هي بأرض طوس، وهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**».

* عنه عليه السلام: «**من زارني على بُعد داري، أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلّصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان**». (الأمالي، الشيخ الصدوق)

اليوم الأخير
شهادة الإمام الجواد عليه السلام

من دعاء الإمام الجواد عليه السلام في قنوته: «أللّهمَّ أنتَ الأوّل بلا أوّليّةٍ معدودةٍ، والآخِرُ بلا آخِريَّةٍ محدودةٍ، أنشأتَنا لا لِعلّةٍ اقتساراً، واختَرَعْتَنا لا لِحاجةٍ اقتداراً، وابتَدَعْتَنا بحكمتِكَ اختياراً، وبلَوْتَنا بأمرِكَ ونَهْيِك اختباراً، وأيَّدْتَنا بالآلات، ومَنَحْتَنا بالأدَواتِ، وكلَّفْتَنا الطَّاقةَ، وجَشَّمْتَنا الطَّاعةَ، فأَمَرْتَ تَخْييراً، ونَهَيْتَ تحذيراً، وخَوَّلْتَ كثيراً، وسَأَلْتَ يَسيراً، فعُصِيَ أَمْرُكَ فَحَلُمْتَ، وجُهِلَ قَدْرُكَ فتَكَرَّمْتَ. فأنتَ ربُّ العِزّةِ والبَهاءِ، والعَظَمةِ والكِبرياءِ، والإحسانِ والنَّعْماءِ، والمَنِّ والآلاءِ، والمِنَحِ والعَطاءِ، والإنْجازِ والوَفاءِ، ولا تُحيطُ القُلوبُ لكَ بِكُنْهٍ، ولا تُدْرِكُ الأوْهامُ لكَ صِفَةً، ولا يُشبهك شيءٌ من خَلْقِكَ، ولا يُمَثَّل بكَ شَيْءٌ من صنْعَتِكَ، تَباركْتَ أنْ تُحَسَّ أو تُمَسَّ، أو تُدركُكَ الحَواسُّ الخَمْسُ، وأنَّى يُدرِكُ مخلوقٌ خالقَهُ، وتَعاليْتَ يا إلهي عمّا يقولُ الظَّالِمون عُلُوّاً كبيراً..».

* ما علّمه عليه السلام من التعقيب بعد صلاة الفريضة: «رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام دِيناً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبةِ قِبلةً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ وليّاً، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والحجّة بن الحسن بن عليّ أئمّة. أللّهمَّ وليّك الحُجَّة فاحفَظهُ من بين يدَيه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومِن فَوقه ومِن تحته، وامدُدْ لهُ في عمره، واجعلهُ القائمَ بأمرِكَ، المُنتصِر لِدِينِكَ، وأَرِه ما يُحبّ، وتقرّ به عَيْنه في نفسِهِ وفي ذريَّته وأهلِهِ ومالِهِ، وفي شيعته وفي عدوِّه، وأرِهِم منهُ ما يَحذرون، وأَرِه فيهم ما تُحبُّ وتقرُّ به عَيْنُه، واشْفِ به صُدورَنا وصُدورَ قومٍ مؤمنين».

اليوم الأول
ولادة السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليه السلام

* عن الإمام الصّادق عليه السلام: «..**وإنّ لنا حَرماً وهو بلدة "قم"، وستُدفن فيها امرأة من أولادي تُسمّى فاطمة..**».

* وعنه عليه السلام: « **إنّ للجنّة ثمانية أبواب، ثلاثة منها لأهل "قم"، تقبض فيها امرأة من ولدي، واسمها فاطمة بنت موسى، تُدخل بشفاعتها شيعتنا الجنّة بأجمعهم**».

نقلُ الكلام بقصد الإفساد
النّميمة من أكبرِ السِّحر

إعداد: محمد ناصر

النّميمة، نقل الكلام بين النّاس بغرض الإفساد والفتنة، وهي من الكبائر الموجبة للنّار، ورُمِي صاحبُها – إن لم يتُب- بصريح القرآن الكريم بنجاسة المَوْلد.

ما يلي، مختاراتٌ الحديث الشريف، تحذّر من مخاطر هذه الرَّذيلة، وممّا يتفرّع عليها من عناوين مثل: السِّعاية والوشاية وإفشاء السرّ.

رسول الله صلى الله عليه وآله:

* عن الصَّحابي الجليل أبي ذر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «**يا أبا ذر، لا يدخل الجنة القتّات**، قلتُ: يا رسول الله ما القتّات؟ قال: **النّمّام، يا أبا ذر، صاحبُ النّميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة، يا أبا ذر، مَن كان ذا وجهَين ولسانَين في الدُّنيا فهو ذو وجهَين في النّار، يا أبا ذر، المجالس بالأمانة، وإفشاؤك سرَّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك واجتنب مجلسَ العَثْرة**».
* «..**وإنّ أبغضكم إلى الله تعالى المشّاؤن بالنّميمة، المُفرّقون بين الإخوان، المُلتمِسون لأهل البراء العَثرات**».
* «**مَن أشار على مسلم بكلمة لِيُشينه بها بغير حقّ، شانَه الله تعالى في النّار يوم القيامة**».
* «**إنّ موسى عليه السلام استسقى ".." فأوحى الله تعالى إليه: لا أستجيب لك ولا لِمَن معك وفيكم نمّام قد أصرَّ على النَّميمة، فقال موسى عليه السلام: مَن هو يا ربِّ حتى نخرجه من بيننا؟ فقال الله: يا موسى أنهاكم عن النّميمة وأكون نمّاماً، فتابوا بأجمعهم فَسُقُوا**».

أمير المؤمنين عليه السلام:

* لِبعض وُلاته: «**إيَّاكَ والسّعاة وأهل النَّمائم، فلا يَلتزقَنَّ بك أحدٌ منهم، ولا يراك الله يوماً ولا ليلةً وأنت تَقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فَيَسخط اللهُ عليك ويَهتكَ سترَك**».
* «**لا تعجلنَّ إلى تَصديق واشٍ وإنْ تشبَّه بالنَّاصحين**».
* لِرجل رفع إليه كتاباً فيه سعاية: «**يا هذا! إن كُنتَ صادقاً مَقَتْناك، وإن كُنتَ كاذباً عاقبناك، وإن أحبْتَ القيلة أَقلناك**»، قال: بل تُقيلني يا أميرَ المؤمنين.

الإمام الصادق عليه السلام:

* «**إنَّ من أكبر السِّحر النّميمة، يُفرَّق بها بين المُتحابَّيْن، ويُجلب العداوة على المُتصافِيَين، ويُسفك بها الدِّماء، ويُهدَم بها الدُّور، ويُكشف بها السُّتور، والنَّمام أشرُّ من وَطئ على الأرض بِقَدم**».

قال العلماء

حقيقةُ النّميمة إفشاءُ السرّ وهتْكُ السرِّ عمّا يكرهُ [المقولُ فيه] كشفَه، بل كلّ ما رآه الإنسان من أحوال الإنسان فينبغي أن يسكت عنه، إلّا ما في حكايته فائدة لمُسلم أو دفعٌ لِمعصيته ".." والسببُ الباعث على النّميمة إمّا إرادةُ السوء بالمَحْكِيّ عنه أو إظهارُ الحبِّ للمُحكى له، أو التفرُّحُ بالحديث أو الخوضُ في الفضول "..".

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ القلم:١١، ثمّ قال: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ القلم:١٣. قال بعض العلماء هذه الآية دلّت على أنّ مَن لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة وُلد زنا لأنّ الزنيم هو الدعيّ. وقال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة:١ وهو النَّمام. وقال تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿..فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ التحريم:١٠، قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضّيفان وامرأة نوح تخبر بأنّه مجنون. (الرسائل، الشهيد الثاني)

من فتاوى المراجع

مسائل في الخمس

إعداد: «شعائر»

من فتاوى وليّ أمر المسلمين السيّد الخامنئي دام ظلّه

س: عندما أجريت المحاسبة للخمس كانت عندي أموال عن طريق الإرث ومبالغ أخرى، وكنت أعتقد أنّ على الإرث خمساً ولا يجب عليّ في المبالغ الأخرى الخمس، فتبيّن بعد أداء الخمس أنّ المسألة بالعكس أي يجب عليّ الخمس في الأموال الأخرى ولا خمس عليّ في الإرث، فهل يُجزي ذلك علماً أنّ المبلغ الذي يجب فيه الخمس يستوعب المقدار المدفوع؟

ج: إذا كان من نيّتك أداء الخمس حسب وظيفتك الفعليّة، ولكن اخطأت في المصداق فيُجزي ما دفعته.

س: سمعت أنّه توجد رخصة شرعيّة، أو بالأحرى حيلة شرعيّة، لمن لا يريد أن يخرج الخمس لحاجة ملحّة، بأن تُملّك أحد الأشخاص المال الذي تريد أن تخمّسه وبعد مرور يوم على رأس السنة المحدّدة يتمّ إرجاع المبلغ برضا المالك الثاني للمال ومن دون أيّ اشتراط مسبق. ما مدى صحّة هذا الكلام؟

ج: هذه النسبة ليست صحيحة، ولا يصحّ اللّجوء إلى الحيلة للفرار من الخمس الواجب.

س: هل يجوز للأمّ أن تعطي الخمس إلى ولدها السيّد من دون أن تعطيه إلى الوكيل؟

ج: لو كانت نفقة الولد على الأم شرعاً لم يَجُز لها أن تحسب نفقته من الخمس الذي تعلّق بمالها، وعلى كلّ حال لا يجوز دفع الخمس إلى المستحقّ إلّا بإجازة وليّ أمر الخمس أو وكيله.

س: هل يجوز ان أَستثني من الخمس مؤونة الدّراسة التي يجب أن أدفعها بعد ٣ أسابيع تقريباً من يوم الخمس؟

ج: لا يُستثنى من الرِّبح المتعلّق به الخمس بعد حلول السنة الخمسيّة لأجل الصّرف للدِّراسة.

س: لو اشترى رجلٌ من أرباح سنته بألف دولار مائة ألف دينار عراقي مثلاً، وفي أثناء السنة سقطت قيمة الدينار العراقي، فهل يخمّس الألف دولار أو لا يخمّسه باعتبار أنّه تلف؟

ج: يخمّس المال الموجود لديه حتى وإن نزلت قيمته.

س: اذا وجدت بيّنة تثبت أن زيداً سيّد وقامت بيّنة أخرى تثبت أنه ليس سيِّداً، فهل ندفع له من حقّ السادة؟

ج: تسقط البيّنتان بالتّعارض، ولا يصحّ صرف سهم السّادة -بعد الإستجازة من وليّ الأمر في الدفع- إلى من لم يثبت بطريق شرعي أنّه من بني هاشم.

س: هل يجوز استثمار الأخماس بغرض تكثيرها أم لا يجوز؟

ج: مع وجود المستحقّين لمصرف الخمس على كثرتهم لا وجه لجواز حبسه وادّخاره واستثماره ولو لغرض تنميته لصالح المستحقّين في المستقبل، وعلى كلّ حال لا يجوز استثمار الأخماس لأحد من وكلائنا الكرام (حفظهم الله تعالى).

(نقلاً عن الموقع الإلكتروني لمكتب سماحة الإمام الخامنئي)

من فتاوى الفقهاء*

* مصارف الحجّ من مؤونة عام الإستطاعة؛ فإذا استطاع في أثناء حول حصول الربح وتمكّن من المسير بأن صادف سير الرفقة في ذلك العام احتسب مخارجه من ربحه، وأمّا إذا لم يتمكّن حتى انقضى العام وجب عليه خمس ذلك الربح، فإن بقيت الإستطاعة إلى السنة الآتية وَجَب وإلّا فلا.

* يجوز تعجيل إخراج خمس الربح إذا حصل في أثناء السنة، ولا يجب التأخير إلى آخرها فإنّ التأخير من باب الإرفاق.

* لا إشكال في جواز نقل الخمس من بلده إلى غيره إذا لم يوجد المستحقّ فيه، بل قد يجب كما إذا لم يمكن حفظه مع ذلك، أو لم يكن وجود المستحقّ فيه متوقّعاً بعد ذلك.

*(العروة الوثقى، ج ٤، السيّد اليزدي، وافق عليها سائر المراجع الذين وردت فتاواهم في هامش العروة، ط: مؤسسة النشر الإسلامي – قم المقدّسة)

الدُّنيا المذمومة

انصرافُ القلبِ إلى حظوظ النّفْس

إعداد: مازن حمّودي

«فإنّ أمور الدُّنيا لا يُفتح منها باب إلّا وتنفتح لأجله عشرة أبواب أُخَر، وهكذا يتداعى إلى غير حدٍّ محصور وكأنّها هاوية لا نهاية لعُمقها، ومَن وَقَع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى».

وقفة مع مدى خطورة توثيق العلاقة بالدّنيا، من كتاب (جامع السعادات) للشيخ محمّد مهدي النراقي قدس سره.

الدُّنيا المذمومة هي الهوى، وقد ظهر أنّ الدُّنيا المذمومة حظّ نفسك الذي لا حاجة إليه لِأَمر الآخرة، ويُعبَّر عنه بالهوى، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿..وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ النازعات:٤٠-٤١. ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿..أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ..﴾ الحديد:٢٠. والأعيان التي تحصل منها هذه الأمور هي المذكورة في قوله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ آل عمران:١٤. فهذه أعيان الدُّنيا.

تعلُّقُ القلبِ والبَدن بأعيانِ الدّنيا

وللعبد معها [مع أعيان الدنيا] علاقتان:

١- **علاقة مع القلب**: وهي حبُّه لها وحظُّه منها وانصراف همِّه إليها، حتى يصير قلبه كالعبد ".." ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلِّقة بالدُّنيا: كالرِّياء، والسُّمعة، وسوء الظَّنّ، والمداهنة، والحسد، والحقد، والغِلّ، والكِبر، وحبّ المدح، والتفاخر، والتكاثر. فهذه هي الدُّنيا الباطنة، والظَّاهرة هي الأعيان المذكورة.

٢- **وعلاقة مع البدن**: وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لِتصلح لحظوظه وحظوظ غيره، وهذا الإشتغال عبارة عن الصّناعات والحِرَف التي اشتغل النّاس بها، بحيث أَنْسَتْهم أنفسهم وخالقهم وأَغْفَلَتهم عمَّا خُلِقوا لأجله، ولو عرفوا سبب الحاجة إليها واقتصروا على قدر الضّرورة، لم يستغرقهم اشتغال الدُّنيا والإنهماك فيها. ولمّا جهلوا بالدُّنيا وحكمتها وحظّهم منها، لم يقتصروا على قدر الإحتياج، فأَوقعوا أنفسهم في أشغالها، وتتابعت هذه الأشغال واتّصلت بعضُها ببعض، وتداعت إلى غير نهاية محدودة، فغفلوا عن مقصودها، وتاهوا في كثرة الأشغال.

الدنيا هاويةٌ لا قعْرَ لها

فإنّ أمور الدُّنيا لا يُفتح منها باب إلّا وتنفتح لأجله عشرة أبواب أُخَر، وهكذا يتداعى إلى غير حدٍّ محصور وكأنّها هاوية لا نهاية لِعُمقها، ومَن وَقَع في مهواةٍ [ما بين جبلين] منها سقط منها إلى أخرى. وهكذا على التَّوالي، ألا ترى أنّ ما يُضطرّ إليه الإنسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن؟ ولذلك حدثت الحاجة إلى خمس صناعات هي أصول الصّناعات: الفلاحة، والرّعاية للمواشي، والحياكة، والبناء، والإقتناص -أي تحصيل ما خلق الله من الصَّيد والمعادن والحشائش والأحطاب- وتترتَّب على كلٍّ من هذه الصّناعات صناعات أُخَر، وهكذا إلى أن حدثت جميع الصّناعات التي تراها في العالم، وما من أحد إلَّا وهو مشتغل بواحدة منها أو أكثر، إلَّا أهل البطالة والكسالة، حيث غفلوا عن الإشتغال في أوّل الصِّبا، أو منعهم مانع واستمرّوا على غفلتهم وبطالتهم، حتّى نشأوا بلا شغل واكتساب، فاضطرُّوا إلى الأخذ ممّا يَسعى فيه غيرهم، ولذلك حدثت حِرفَتان خبيثتان هما اللُّصوصيّة والكدية [أو الكداية وهي الإستجداء]، ولكلّ واحدٍ منهما أنواع غير محصورة لا تخفى على المتأمّل.

الإمام الجواد: الإعجاز، والتأسيس للمهدويّة

إقرأ في الملف

إستهلال	من الصَّلوات الكبيرة
الإمام المعجزة	رواية الحافظ ابن حجر الهيثمي
قانون الإصطفاء الإلهي	السيد عدنان الحسيني
السيرة والإعجاز: ملامح عامة	إعداد: أسرة التحرير
فرادة إعجاز نبيّيْن، وإمامين	الشيخ حسين كوراني
نحوَ فهمٍ أفضل للمعصوم	الشيخ محمد علي متوليان

الصّلاة على
محمّد بن عليّ بن موسى الجواد عليهم السلام

أللّهمّ صلِّ على محمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام، عَلَمِ التُّقى، ونور الهُدى، ومعدن الهُدى، وفرع الأزكياء، وخليفة الأوصياء، وأمينك على وحيك أللَّهمّ فكما هديْتَ به من الضَّلالة، واستنقذتَ بِه من الجَهالة، وأرشدت به من اهتدى، وزكّيت به من تزكّى، فصلِّ عليه أفضل ما صلَّيتَ على أحدٍ من أوليائك، وبقيَّة أوليائك إنّك عزيز حكيم.

من الصَّلوات الكبيرة. إملاء الإمام العسكري عليه السلام

في «سُرَّ من رأى» (سامُرَّاء)، سنة خمس وخمسين ومائتين هجريّة.

الإمام الجواد المعجزة

رواية الحافظ ابن حَجر الهيثمي

أورد ابن حجر في كتابه (الصَّواعق المُحرقة) الذي ألّفه للطَّعن بالشِّيعة وعقائدهم، ما يثبت أنَّ عقيدتنا هي ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أجمع عليه المسلمون، وقد أثبت ذلك -عن غير قصد منه- في موارد عديدة ومركزيّة، ليس المجال هنا لتتبُّعها، بل محلّ الشّاهد هنا ما قاله عن الإمام الجواد عليه السلام في آخر ترجمة الإمام الرِّضا عليه السلام.

قال إبن حجر في (الصَّواعق المُحرقة، ج ٢، ص٥٩٧):

«... وتوفّي الرِّضا رضي الله عنه وعمره خمس وخمسون سنة، عن خمسة ذكور وبنت، أجلُّهم محمّد الجواد لكنّه لم تَطل حياته.

وممّا اتّفق له أنَّه بعد موت أبيه بسنة، واقفٌ والصّبيان يلعبون في أزقَّة بغداد إذ مرَّ المأمون ففَرُّوا ووقف محمّد وعمره تسع سنين، فألقى الله محبَّته في قلبه، فقال له: يا غُلام، ما منعك من الإنصراف، فقال له مسرعاً: **يا أمير المؤمنين، لم يكن بالطّريق ضِيقٌ فأوسعَه لك، وليس لي جرمٌ فأخشاك، والظنُّ بك حسنٌ أنَّك لا تضرُّ مَن لا ذنبَ له.**

فأعجبه كلامه وحُسنُ صورته، فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: **محمّد بن عليّ الرّضا**، فترحَّم على أبيه وساق جواده. وكان معه بزاةٌ للصّيد، فلمّا بَعُد عن العمار، أرسل بازه على درّاجة (طائر)، فغاب عنه ثمّ عاد من الجوِّ في منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة، فتعجَّب من ذلك غاية العجب، ورجع فرأى الصّبيان على حالهم ومحمّد عندهم، ففرُّوا إلَّا محمّداً فدنا منه وقال له: ما في يدي؟ فقال: **إنَّ الله تعالى خلق في بحر قدرته سمَكاً صغاراً، يصيدها بازات الملوك والخلفاء، فيُختبَر بها سلالة أهل بيت المصطفى.**

قال له المأمون ما في يدي؟ فقال: إنّ الله تعالى خَلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً، يصيدها بازات الملوك والخلفاء، فيُختبَر بها سلالة أهل بيت المصطفى.

فقال له: أنتَ ابن الرِّضا حقّاً، وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه، فلم يَزل مشغفاً به لِما ظهر له بعد ذلك من فضله وعِلمه، وكمال عظمته، وظهور برهانه مع صِغَر سِنِّه، وعَزَم على تزويجه بابنته أمّ الفضل وصمَّم على ذلك، فمنعه العبّاسيّون من ذلك خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه. فلمّا ذَكر لهم أنّه إنّما اختاره لتميُّزه على كافّة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صِغَر سِنِّه، فنازعوا في اتّصاف محمّد بذلك، ثمّ تواعدوا على أن يُرسلوا إليه مَن يَختبره، فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمّداً. فحضروا للخليفة ومعهم إبن أكثم وخواصّ الدّولة، فأمر المأمون بفرش حَسَن لمحمّد، فجلس عليه، فسأله

يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه.

فقال له الخليفة: أحسنتَ أبا جعفر، فإن أردتَ أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال له: **ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أوّل النهار حراماً، ثمّ حلّت له ارتفاعه، ثمّ حَرُمت عليه عند الظّهر، ثمّ حلّت له عند العصر، ثمّ حَرُمت عليه المغرب، ثمّ حلت له العشاء، ثمّ حَرُمت عليه نصف اللّيل، ثمّ حلّت له الفجر؟** فقال يحيى: لا أدري.

ثمّ تواعدوا على أن يرسلوا إليه مَن يختبره فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمّداً

فقال له محمّد: هي أَمَة نظرها أجنبي بشهوة وهي حرام، ثمّ اشتراها ارتفاع النّهار فأعتقها الظّهر، وتزوَّجها العصر، وظاهر منها المغرب، وكَفَّر العشاء وطلّقها رجعيّاً نصف اللّيل، وراجعها الفجر.

فعند ذلك قال المأمون للعباسيّين: قد عرفتُم ما كنتم تُنكرون.

ثمّ زوَّجه في ذلك المجلس بنته أمّ الفضل، ثمّ توجَّه بها إلى المدينة، فأرسلَت تَشتكي منه لأبيها أنّه تسرّى عليها، فأَرسل إليها أبوها: إنّا لم نزوِّجك له لنُحرِّم عليه حلالاً، فلا تعودي لمثله.

ثمّ قَدمَ بها بطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرّم سنة عشرين ومائتين، وتوفّي فيها في آخر ذي القعدة، ودُفن في مقابر قريش في ظهر جدِّه الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة، ويقال إنّه سُمَّ أيضاً عن ذكرَيْن وبنتَين».

حرزٌ (غير المشهور) للإمام الجواد عليه السلام

«الخالـقُ أعظم من المخلوقين، والرّازق أبسطُ يـداً من المرزوقين، ونارُ اللّه المؤصـدة في عَمَدٍ مُمدَّدة، تكيدُ أفئدة المَردة، وتردّ كَيْد الحَسَدة، بالأقسام، بالأحـكام، باللّـوح المحفـوظ، والحجـاب المضـروب، بعرش ربّنـا العظيم احتجبـتُ، واستـترتُ، واستجرتُ، واعتصمـتُ، وتحصَّنتُ بـ ﴿ألم﴾، وبـ ﴿كهيعص﴾، وبـ ﴿طـه﴾، وبـ ﴿طسم﴾، وبـ ﴿حم﴾، وبـ ﴿حمعسق﴾، وبـ﴿ن﴾، وبـ ﴿طس﴾، وبـ ﴿ق والقرآن المجيد﴾، ﴿وإنّه لقسمٌ لو تعلمون عظيم﴾، واللّه وليِّي ونِعمَ الوكيل».

(مُهج الدعوات، السيّد إبن طاوس)

..ويُكلِّمُ النّاسَ في المَهد

قانون الإصطفاء الإلهي

السيّد عدنان الحسيني

ظاهرة إصطفاء الله تعالى للإمام الجواد عليه السلام إنّما هي في دائرة قانون الإصطفاء الذي مَنح به الله تعالى النبوّة لعيسى بن مريم في السابعة من عمره، بعد أن تكلّم بها في مهده، بعد ولادته بقليل ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ مريم:٣٠.

ما يلي، مقتطف من كتاب (الإمام الجواد عليه السلام: سيرة وتاريخ) للسيّد الحسيني، يسلّط الضوء على جانب من جوانب قانون الإصطفاء الإلهي.

مع الإمام الجواد عليه السلام نعيش ظاهرة مثيرة بحقّ، تَستوقف النَّظر وتَستحثّ العقول، ألا وهي الإمامة المُبكرة. إنّها الظّاهرة التي نُصادفها لِأوّل مرّة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام، فابن الثامنة من العمر يتولّى هنا إمامة المسلمين بكلّ ما يتعلّق بها من مسؤوليّات ومهامّ، وما تتطلّبه من عِلم كامل بالشّريعة وأحكامها، ومن الصَّعب بل المُتعذِّر أن يُدَّعى كلّ هذا لِمَن هو في هذه السنّ، إلّا أن يكون مُحاطاً بعناية إلهيّة خاصّة وقد اصطنعه الله تعالى لهذه المهمّة، وأُعدّ لها الإعداد التامّ من قبل.

وهذا ما ينقلنا على الفور إلى استدعاء البُعد المميَّز لشأن المصطَفَين ودور الإصطفاء في إحداث النّقلة النّوعيّة في الذّات الإنسانيّة، الأمر الذي يجعل مقارنة المختصّ بهذا الإصطفاء مع غيره من سائر النّاس، حتّى أصحاب المواهب الخاصّة، مقارنة فاقدة لموضوعها، غير مبرَّرة بحال، وهذا ما يجعل ظاهرة كهذه أمراً طبيعيّاً، في دائرة الإمكان، وبلا غرابة.

ينقلنا ذلك مرّة أخرى، إلى النّماذج الأسبق في هذه الدائرة، والذي يكشف بجلاء أنّ ظاهرة اصطفاء الله تعالى للإمام الجواد عليه السلام، إنّما هي في دائرة قانون الإصطفاء الذي منح به الله تعالى النبوّة لعيسى بن مريم في السابعة من عمره، بعد أن تكلّم بها في مهده، بعد ولادته بقليل ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ مريم:٣٠. ثمّ سبقت بكلّ مهمّاتها ولوازمها لصبيّ ما يزال في بواكير صِباه، ذلك يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿..وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ مريم:١٢، فلسنا إذاً مع أمر مُمكن الوقوع فحسب، بل مع ظواهر متعدِّدة لواقع محقَّق، وضمن الدائرة ذاتها، دائرة الإصطفاء.

**

ثمّ إنّ المتقلّد لهذه المهمّة سوف يعيش بين النّاس عالِمهم وجاهلهم، فليس من الصّعب إذاً التّحقّق من صحّة هذا الإصطفاء والتمييز، والتقدم.

هذا ما وقع مبكراً مع الإمام الجواد عليه السلام من قِبَل مَن استنكر شأنه، وفي مجلسٍ عقدَه المأمون وشحنه بأهل العلم ممّن هم حوله، أذعن قاضي قضاته يحيى بن أكثم بأنّ ابن الثامنة، الجواد بن الرِّضا عليهما السلام، إنْ هو إلّا إمامٌ مُعلَّم، وليس هو بفتى مُلهَم وحسب.

عاش الإمام الجواد عليه السلام تجربته كلّها ومِن حوله عُلماء فُحول، من أصحاب القرآن والحديث والكلام، في عصر ازدهرت فيه العلوم وقُعّدت قواعدها، وأُسّست أصولها، فلم يرَ منه أصحابه أو خصومه دون ما كانوا يرون من آبائه العظام من عِلم وحلم وحكمة.

تلك تجربة أمّة مع الإمام الجواد عليه السلام امتدّت به سبع عشرة سنة، فكيف إذا كانت تجربةً في عصر عصيب، ومَن حوله يتربّصون به وبأصحابه؟!

تلك تجربة أُمّةٍ مع الإمام الجواد عليه السلام، امتدّت به سبع عشرة سنة، حتى شهادته عليه السلام، وليس هناك في التّاريخ قضيّة هي أثبت من تجربة أمّة، فكيف إذا كانت تجربةً في عصر عصيب، يطارد الحكّام أصحابهَا، ومِن قبلُ قتلوا جدّه الكاظم عليه السلام سجيناً، ثمّ اغتالوا أباه الرِّضا عليه السلام، ثمّ هم مِن حوله يتربّصون به وبأصحابه؟!

إنّ هذا لَمِن أهمّ ما يثبت عظمة تلك التّجربة، وعظمة رائدها، الذي لو وَجد فيه خصومه السِّياسيّون وهم الحاكمون، والدّينيّون وهم متوافرون، من مَغمزٍ لَما توانوا في نشره، بل لَطربوا له ولَنسجوا من حوله الحكايات والأساطير.

سلام الله عليه يوم وُلد، ويوم استُشهد، ويوم يُبعث حيّاً.

إبن ثلاث سنين

عن صفوان بن يحيى قال:

«قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام، فكنت تقول: يَهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقرّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كَوْنٌ فإلى مَن؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائمٌ بين يديه، فقلت: جُعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين؟!

فقال: وما يضرّه من ذلك، فقد قام عيسى عليه السلام بالحجّة وهو ابنُ ثلاث سنين».

(الكافي، الشيخ الكليني)

الإمام الجواد معجزة إلهيّة خالدة

السِّيرة والإعجاز: ملامح عامّة*

إعداد: أسرة التّحرير

*** هو الإمام محمّد بن عليّ الرِّضا عليه السلام، وجدّه الكاظم موسى بن جعفر الصّادق بن محمّد الباقر بن عليّ السجّاد زين العابدين بن الحسين السِّبط الشّهيد بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.**

*** تاسع الأئمّة الإثني عشر الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكّد ارتباط بقاء الإسلام والحياة على وجه الأرض بهم بإذن الله تعالى.**

* ولادته: وُلد عليه السلام في العاشر من شهر رجب (وقيل ليلة الجمعة في النصف من شهر رمضان أو لسبع عشرة ليلةٍ منه) من سنة خمس وتسعين ومائة، وكانت ولادته في المدينة المنوّرة.

وغمرت الإمام الرِّضا عليه السلام موجات من الفرح والسُّرور بوليده المبارك، وقال: «**قد وُلد لي شبيهُ موسى بن عمران، فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، تقدّست أُمٌّ ولدَته، قد خُلقت طاهرة مطهّرة**».

* **والدته** عليها السلام: هي من أهل بيت أمّ المؤمنين مارية القبطيّة، نوبيّة مريسيّة، وسمّاها الإمام الرضا عليه السلام خيزران.

وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّها خيرة الإماء الطيّبة. وقال العسكري عليه السلام: «**خُلقت طاهرة مطهّرة وهي أُم ولد تُكنّى بأُمّ الجواد، وأُم الحسن، وكانت أفضل نساء زمانها**».

يدلُّ على مكانتها، وجلالة قدرها أيضاً، أنّ الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام طلب من يزيد بن سليط أن يبلّغها منه السلام إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد ورد في الخبر أنّ الإمام الكاظم عليه السلام التقاه في طريق مكّة وهم يريدون العمرة، فقال له: «**إنّي أُؤخذ في هذه السّنة، والأمر إلى ابني عليّ سَمِيّ عليٍّ وعليّ. فأمّا عليّ الأوّل فعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا عليّ الآخر فعليّ بن الحسين. يا يزيد، فإذا مرَرْت بالموضع ولقيتَه -وستَلقاه- فبشِّره أنّه سيُولد له غلامٌ أمين مأمونٌ مبارك، وسيُعلمك أنّك لقيتني، فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام، جارية من أهل مارية القبطيّة جارية رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن قدرتَ أن تبلّغها منّي السّلام، فافعل ذلك**».

* وفي خبر آخر أورده المحدِّث الشيخ حسين بن عبد الوهاب في (عيون المعجزات) عن كلثم بن عمران، قال: «قلت للرِّضا عليه السلام: أدعُ الله أن يرزقك ولداً، فقال: إنّما أُرزق ولداً واحداً وهو يرثُني».

* **كنيته**: كُنّي الإمام الجواد عليه السلام، بأبي جعفر من يوم مولده، وما كان الإمام الرِّضا عليه السلام يدعوه إلّا بها، وهي الكنية المشهور بها، ثمّ عرّفه الرواة والمحدِّثون بـ«أبي جعفر الثاني» لتمييزه عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

* **ألقابه الشريفة**: تميّز إمامنا الجواد عليه السلام بألقاب عديدة، من أخصّها به قديماً لقب «التّقيّ» ثمّ بعد ذلك «الجواد»، قال ابن شهر آشوب:

فديتُ إمامي أبا جعفرٍ ... جواداً يُلقّب بـالتاسعِ

* **تكلُّمه في المهد**: عندما وُلد الإمام الجواد عليه السلام، تشهّد الشّهادتين، وحمد الله تعالى وصلّى على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الراشدين.

عن حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام: «.. لمّا ولدته أمّه، قال: **أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله**. فلمّا كان اليوم الثالث، عطس، فقال: **الحمد لله، وصلّى الله على محمّد وعلى الأئمّة الراشدين**».

وروي عن السيدة حكيمة أيضاً: «.. لمّا كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء، ثمّ نظر يمينه ويساره، ثمّ قال: **أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله**، فقمتُ ذعرة فزعة، فأتيت أبا الحسن عليه السلام، فقلت له: لقد سمعتُ من هذا الصبيّ عجباً. فقال: وما ذاك؟ فأخبرته الخبر، فقال: **يا حكيمة، ما تَرون من عجائبه أكثر**».

عندما ولد الإمام الجواد عليه السلام، تشهّد الشهادتين، وحمد الله تعالى وصلّى على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الراشدين.

* **أولاده** عليه السلام: ذكر الشيخ المفيد رحمه الله: أنَّ الجواد عليه السلام خلّف بعده من الولد عليّاً ابنه الإمام من بعده، وموسى، وفاطمة وأُمامة ابنتَيه. ونقل ابن شهراشوب عن الشيخ الصّدوق أنّ بناته عليه السلام هنَّ: حكيمة وخديجة وأم كلثوم. وزاد عليهنّ السيّد ضامن بن شدقم في (تحفة الأزهار): فاطمة.

وفي (الشجرة الطيّبة) للمدرّس الرضوي المشهدي أنّ بنات الإمام الجواد عليه السلام: زينب، وأم محمّد، وميمونة، وخديجة، وحكيمة، وأم كلثوم.

* **السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد** عليه السلام: جليلة القدر، رفيعة المقام، عالية الشَّأن. أوكَلَ إليها أخوها الإمام الهادي عليه السلام السيّدة نرجس كي تعلّمها معالم الدِّين، وأحكام الشريعة.

وزوّج الإمام الهادي عليه السلام السيّدة «نرجس» من ولده الإمام العسكري عليه السلام فأنجبت له الإمام المهدي عليه السلام وقامت حكيمة بمهمّة القابلة لأُمّه ليلة ولادته. وكان للسيّدة حكيمة دور مهمّ بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث كانت تقوم بدور السّفارة بين الشّيعة وبين الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى، فكانت تقوم باستلام الكُتب والمسائل وتوصلها إلى الإمام عليه السلام، ثمّ تستلم منه توقيعاته الشّريفة وتوصلها إلى النّاس.

وتروي السيّدة حكيمة حرز الإمام الجواد عليه السلام. وقد توفّيت هذه السيّدة الجليلة في مدينة سامرّاء، ودُفنت بجوار قبرَي الإمامَين العسكريَّين عليهما السلام، وقبرها مشهور معروف، وقد ذكرها الشيخ المفيد في (الإرشاد)، في ثاني خبر له في باب «**ذِكر مَن رأى الإمام الثاني عشر** عليه السلام»، وأورد عن موسى بن محمّد ابن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال: «حدَّثتني حكيمة بنت محمّد بن عليّ -وهي عمَّة الحسن عليه السلام- أنّها رأت القائم عليه السلام ليلة مولده، وبعد ذلك».

* **موسى المُبرقَع**: إبن الإمام الجواد عليه السلام، موسى المعروف بالمُبرقع، ينتهي إليه نَسَب السَّادة الرضويِّين، فقد عاش في المدينة، وبعد شهادة أبيه انتقل إلى الكوفة فسكنها مدة، ثمّ هاجر إلى قم فوردها سنة ٢٥٦ هجريّة قاصداً استيطانها، فكان أوّل سيّد رضوي يحلّ في هذه المدينة، وكان من أهل الحديث والدّراية. توفي في ربيع الآخر سنة ٢٩٦ هجريّة ودُفن في بيته.

*شهادته عليه السلام: كانت شهادة الإمام الجواد عليه السلام في آخر شهر ذي القعدة من سنة عشرين بعد المائتين،

وقد دُفن مع جدّه الإمام الكاظم عليه السلام، في الكاظميّة بالعراق قرب بغداد، وتُعرف بـ«**الكاظمين**» نسبة إليهما عليهما السلام.

* **إمامته** عليه السلام: قام الإمام الجواد عليه السلام، بأعباء الإمامة العامّة وهو في السابعة من عمره الشريف، كما تقلّد النّبيّ عيسى بن مريم عليه السلام النبوّة وهو في المهد.

* لقد ثبت من خلال هذه الإمامة المبكرة صحّة ما تذهب إليه الشّيعة الإماميّة في الإمامة بأنّه منصبٌ إلهيّ يَهبه الله لمَن يشاء ممّن جمع صفات الكمال في كلّ عصر، فقد أذعن له عليه السلام -وهو ابن سبع سنين أو حواليها- كبار العلماء والفقهاء والرواة وانتهلوا من نمير علمه، وروَوا عنه الكثير من المسائل العقائديّة -الفلسفيّة والكلاميّة- والفقهيّة والتفسيريّة، إلى جانب عطائه في سائر مجالات المعرفة البشريّة.

* يدلّ استشهاد الإمام الجواد عليه السلام، وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف، على مدى نجاحه في حركته وتخطيطه، حيث أربك حضوره في السَّاحة الإجتماعيّة الإسلاميّة الحكّام الطغاة واضطرّهم لاغتياله.

مراحل حياة الإمام الجواد عليه السلام

· المرحلة الأولى: سبع سنوات وهي حياته في عهد أبيه الرضا عليه السلام حيث ولد سنة ١٩٥ هجريّة -وفي حكم محمّد الأمين العبّاسي- واستُشهد الإمام الرِّضا عليه السلام في صفر من سنة ٢٠٣ هجريّة.

· المرحلة الثّانية: خمس عشرة سنة وهي حياته بقيّة حكم المأمون من سنة ٢٠٣ هجريّة إلى سنة ٢١٨ هجريّة.

· المرحلة الثّالثة: حياته بعد حكم المأمون وقد بلغت حوالي سنتين من أيّام حكم المعتصم أي من سنة ٢١٨ إلى ٢٢٠ هجريّة.

الإمام الجواد والتأسيس للمهدويّة

يختلف تأسيس الإمام الجواد عليه السلام للمهدويّة عن تأسيس أيّ من المعصومين عليهم السلام لها، وذلك أنّ وجود الإمام الجواد عليه السلام نفسه بإمامته المبكرة، هو في حدّ ذاته تأسيس خاصّ جداً لحقيقة إمامة المهديّ المنتظَر في صغر سنّه.

صحيح أنّ التأسيس بهذا المعنى متحقّق من خلال نبوّة النبيَّين عيسى ويحيى عليهما السلام، إلّا أنّ تأسيس الإمام الجواد للمهدويّة يمتاز بعنصرَين لم يكونا متوفِّرَين في تأسيس نبوّة النّبيَّين الكريمَين لظاهرة المهدويّة الإلهيّة. هذان العنصران هما:

١- أنّ الإمام الجواد ليس نبيّاً، بل هو إمام كما أنّ المهدي المنتظر إمام.

٢- التّقارب الزّمني بين الإمام الجواد وحفيده الإمام المهدي، وهو أمر يجعل التّمهيد عمليّاً جداً، فقد بدأت -آنذاك- تقترب مرحلة الحاجة الماسّة إليه.

وجود الإمام الجواد عليه السلام نفسه بإمامته المبكرة، هو في حدّ ذاته تأسيس خاصّ جداً لحقيقة إمامة المهديّ المنتظَر في صغر سنّه.

· بالإضافة إلى ما تقدّم من هاتين الميزتَين وهذين العنصرَين التأسيسيَّين، فإنّ الإمام الجواد عليه السلام قد اعتنى -كآبائه وأجداده عليهم الصلاة والسلام- بتركيز قضيّة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، في الأُمّة لإعدادها لاستقبال يومه، ونذكر فيما يأتي نماذج من هذه الدّعوة:

١ - قال اسماعيل بن بزيع: سألته -يعني أبا جعفر الثاني عليه السلام- عن شيءٍ من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمامُ ابنَ أقلّ من سبع سنين؟ فقال: «**نعم، وأقلّ من خمس سنين**».

ينبغي التنبُّه إلى إشارته عليه السلام من خلال تحديد الخمس سنين إلى إمامة الإمام المهدي عليه السلام.

٢ - عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني رضي الله عنه قال: «قلتُ لمحمّد بن عليّ بن موسى عليهما السلام: يا مولاي، إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. فقال عليه السلام: **ما منّا إلّا قائمٌ بأمر الله، وهادٍ إلى دين الله. ولكنّ القائم الذي يُطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها قسطاً وعدلاً، هو الذي يَخفى على الناس ولادتُه، ويغيب عنهم شخصُه، ويحرم عليهم تسميتُه، وهو سميُّ رسول الله وكنيُّه، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويذلُّ له كلّ صعب، يَجتمع اليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿..أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** البقرة:١٤٨. **فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره، فاذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل، خرج بإذن الله تعالى، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ**».

٣- عن أبي تراب عبدالله موسى الروياني، قال: «حدَّثنا عبدالعظيم بن عبدالله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الحسني، قال: دخلتُ على سيِّدي محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني فقال لي: **يا أبا القاسم، إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته، ويُطاعَ في ظهوره، وهو الثّالث من ولدي، والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة وخصّنا بالإمامة، إنّه لو لم يبقَ من الدّنيا إلّا يومٌ واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، وإنّ الله تبارك وتعالى ليصلح له أمرُه في ليلة، كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام، إذ ذهب لِيَقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسولٌ نبيٌّ، ثمّ قال عليه السلام: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج**».

* (أعلام الهداية: الإمام الجواد، إصدار المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، بتصرّف وإضافة؛
الإمام محمّد الجواد عليه السلام: سيرة وتاريخ، السيّد عدنان الحسيني، مركز الرسالة، بتصرّف)

هل عاديْتَ لي عدوّاً..؟

أوحى الله إلى بعض الأنبياء:

أمّا زهدك في الدُّنيا فتعجّلك الراحة، وأمّا انقطاعك إليّ فيعزّك بي.

ولكن هل عاديْتَ لي عدوّاً، ووالَيْتَ لي وليّاً؟

..وآتيناهُ الحُكمَ صبيّاً

فرادةُ إعجاز نبيَّيْن، وإمامَيْن

الشيخ حسين كوراني

بين أبرز المعجزات في تاريخ النُّبوّة والإمامة، أربع معاجز امتازت عن غيرها بأنّ المحوَر فيها نبيٌّ أو إمام صغير السِّنّ، يتصدّى في صغر سنِّه لمهمّة الحُجّة على الخَلْق، بما يعنيه ذلك من علم يفوق كلّ ما أوتيه حتّى أعلم العلماء، وبما يعنيه أيضاً من حكمة ودراية وقيادة سياسيّة في حمَى الصّراع مع الطّواغيت، والمترَفين، والملأ.

المعجزات الأربع هي نبوّة النّبيَّين عيسى ويحيى عليهما السلام، وإمامة الإمامَين الجواد والمهدي عليهما السلام.

ترابط هذه المعجزات

ينبغي التّنبُّه جيّداً إلى العلاقة الجذريّة بين معجزتَي هذين النّبيَّين الكريمَين، وبين معجزتَي الإمامَين عليهم جميعاً الصّلاة والسّلام، فالإعجاز في صغر السِّنّ في مجال النّبوّة، تأسيسٌ لأصلٍ عقائديّ، يُمكِّن من التّعاطي مع ما سيأتي في خطِّ الوصاية المحمّديّة بيقينٍ قرآني.

كما ينبغي التّنبُّه إلى تمهيد ظاهرة إمامة الإمام الجواد عليه السلام في السّابعة من عمره الشّريف -أو حواليها- لإمامة الإمام المهدي المنتظَر عليه السلام في حوالي الخامسة من عمره الشّريف. إنَّ الفرق كبير جدّاً بين التّعامل مع هذه المعاجز منفصلة عن بعضها، أو فصل معجزتَي النّبوة عن معجزتَي الإمامة، وبين التّعامل معها على قاعدة التّرابط والإنتظام ضمن أصل عقائدي وقرآني واحد، كما أنَّ الفرق كبير جدّاً بين التّفكير بمعجزة صغر سنِّ الإمام الجواد دون الربط بينه وبين وصغر سنِّ الإمام المهدي عليهما السلام حين تصدِّيهما لمهامّ الخلافة الإلهيّة، ووصاية رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين التّفكير بمعجزتَي هذين الإمامَين عليهما السلام.

سيقودنا التّأمُّل في هذا التَّرابط -وتلقائيّاً- إلى التَّرابط بين نبوّة النّبيّ عيسى عليه السلام «في المهد»، وبين إمامة الإمام المهدي المنتظر الذي أجمع المسلمون أنّه سينزل من حيث رفعه الله تعالى إليه، لِينصر المهدي الذي يُحقِّق الله تعالى على يديه آمال النّبيّين والمُستضعفين. المشكاة واحدة، والله تعالى بكلِّ شيءٍ عليم، وقد تكفَّل سبحانه بألَّا يكون للنّاس عليه حجَّة، وأنّ له سبحانه الحَجَّة البالغة، فمن الطّبيعي أن تُبنى الأُسس العقائديّة لمسيرة النّبوّة والإمامة- الواحدة- على غاية القوّة والوضوح.

هكذا يمكننا أن ندرك أهمّيّة التّأسيس العقائدي لإمامة المهديّ المُنتظَر خاتم الولاية المحمَّديّة، وندرك أيضاً مدى اللُّطف الإلهي للأجيال التي ستواجه ألوان التّشكيك بإمامة الإمام الجواد عليه السلام ثمّ على امتدادِ دورات من الزَّمن أطول وتمتدّ قروناً بإمامة الإمام المهديّ المُنتظَر عليه السلام.

أصلُ مبدأ ﴿..وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ مريم:١٢ لُطفٌ إلهيّ، من تجلِّياته تعزيز الإيمان بالغَيْب. وتثبيته في القرآن الكريم لُطفٌ آخر، وتكراره في نبيَّيْن لمزيد تثبيته كأصل عقائدي مُسلَّم، فيضُ لطفٍ خاصّ، وكذلك هو شأن تكرّره في إمامَين.

من أبعاد فرادة الإعجاز

حقيقة المعجزة هي خرق العادة، حيث يَتحقَّق بها ما لا يَتحقَّق عادةً، ويتلازم خَرْق العادة مع التّحدِّي، فالمعجزة خَرْق عادة على سبيل التّحدّي، وتختلف المعاجز في طول زمنها أو قِصره، فمعجزة إحياء ميْت، تَستغرق وقتاً قصيراً، تستمرّ بعده آثاره، أمّا معجزة القرآن الكريم فهي باقية بقاء الحياة والدّهر. إلّا أنَّ خرق القرآن الكريم للعادة، والتّحدِّي الذي يقوم عليه هذا الخَرْق، قد لا يكونان مفهومين للكثيرين، كما يُمكن فهم تكلُّم صبيّ في المهد واستمرار قيامه بأعباء النّبوّة أو الإمامة لمدّة زمنيّة تمتدّ طيلة عمر النّبيّ أو الإمام.

يُضاف إلى ما تقدَّم من طول مدّة التّحدّي، أنّ النّبيّ أو الإمام يحمل مشروع إنقاذ النّاس من الطواغيت الذين يَستنفرون كلّ ما يمكنهم توظيفه من أدوات ووسائل، لإبطال الإعجاز في هذه الظاهرة المُستجدّة التي هي أشبه ما يكون بإعصارٍ يمكنه أن يجرف كلّ باطلهم واستعبادَهم النّاس، وتسلُّطَهم على رقابهم. لذلك سيكون الصراع محتدماً أبداً، فالتّحدّي يَستتبع مثله حتى إن لم تكن الدَّواعي الأخرى مُتضافرة تستثير مَن تواجههم المعجزة ليعملوا على إبطال دلالاتها من خلال كشف «زيفها» حسب زعمهم، إن استطاعوا.

أن يتكلّم صبيٌّ في المهد، هذا أمر معجز يستثير الإهتمام، ولكن أن يكون هذا الصّبي يحمل مشروع مواجهة الحاكم الطّاغية، وكلّ مَلئِه والبناء السياسي والإجتماعي، فهذا بُعدٌ آخر في هذه المعجزة، يجعلها مُستهدَفة بما يتناسب مع الخطر الذي تشكّله على مَن جاءت المعجزة لوضع حدّ لتضليلهم النّاس واستعبادهم، ومصادرة حقّهم في الحياة والحقيقة والعيش الكريم.

الظّرف السّياسي لمعجزة الإمام الجواد عليه السلام

حيث إنَّ الحديث هنا عن فرادة الإعجاز في إمامة الإمام الجواد عليه السلام، فلنستحضر الظَّرف السّياسي لبدء هذه المعجزة لندرك بعض أبعاد تقصير الأمّة بأجيالها في التّعامل مع هذا اللُّطف الإلهي الذي شمل الأمّة المحمَّديّة، بل الإنسانيّة كلّها بأجيالها المتعاقبة، من خلال تجديد بعثة الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله على يد حفيده، تاسع الأئمّة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام.

كان الظَّرف السّياسي في زمن الإمام الجواد المعجزة، بالغ الحساسيّة والتّعقيد، وتلك أهمّ خصائص زمن المعاجز.

كان الظَّرف السّياسي في زمن الإمام الجواد المعجزة بالغ الحساسيّة والتّعقيد -وتلك أهمّ خصائص زمن المعاجز- فقد دارت دورة الألف شهر من انتزاء آل أبي العاص وأميّة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، بما قام على أساسه ذلك من محاولات طمس فضائل أهل البيت عليهم السلام،

وتهميشٍ لموقعهم في قيادة الأمّة واستمرار خطّ النبوة، وقد سالت الدماء غزيرة، وملّت المشانق والمطامير، وضاقت الأرض بما رَحبت بكلّ مَن قرّر المحافظة على دينه.

وحين ظنّت الأمّة أنّ زوال ملك بني أميّة سيُعيد الحقّ إلى نصابه وسيقود أهل البيت عليهم السلام الأمّة من جديد كما نصّ القرآن الكريم وبلّغ النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، سرعان ما اتّضح أنّ العباسيّين تستّروا بشعار أهل البيت عليهم السلام للتسلُّق إلى الحكم ومنبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

بغداد عاصمة «القطب الأوحد»

ثُنيت الوسادة لسلاطين العباسيّين الأُوَل، فخاطب هارون «السَّحابة» أن تُشَرِّق أو تُغَرِّب، فأينما أمطرَت ففي «مُلْكه»! وسيعود «إليه» بعض فوائدها.

وعندما هلك المسمَّى بـ«الرّشيد» واحتدم الصِّراع بين ولدَيه الأمين والمأمون، إتّضح أنّ موالاة الأمّة لأهل البيت الحقيقيّين هي الكفّة الرّاجحة، فكان من أمر «ولاية العهد» ما استثمره الإمام الرِّضا عليه السلام لتثبيت دعائم التّوحيد، والعقيدة الصّافية.

عاصرت إمامة الإمام الجواد بقيّة مُلك المأمون، ثمّ ملك أخيه المعتصم، ومن الواضح أنّهما ورثا عن أبيهما هارون سلطة مترامية الأطراف، يصدق في وصفها آنذاك مصطلح «القطب الأوحد» الذي يُطلق اليوم على «أميركا».

هذا السُّلطان العريض، كان أصحابه «العباسيّون» يدركون أنّهم تسلّلوا إليه باسم أهل البيت، وعمّا قريبٍ أمكنهم -بعد مخاض عسير زاغت معه الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر- أن يتخلّصوا من الإمام الرضا عليه السلام، الذي كان مجرّد وجوده إيذاناً بزوال الإمبراطوريّة العباسيّة، وها هو ابنه الإمام الجواد في السابعة من عمره -أو حواليها- يتصدّر مجلس «البيت الأبيض» في بغداد عاصمة الدُّنيا.

زاد الطِّين بِلّة أنّ المأمون هو الذي دعا هذا «الصّبي» إلى أن يكون في قلب المعادلة «العباسيّة»!

ولك أن تقدِّر أيّ استثارة شكّلها ذلك لِدَهاقنة بني العبّاس وجيش الملإ من المُترفين وعبيد الدُّنيا، وأيّ استنفار تُحتِّمه هذه الإستثارة.

كلّ فترة عمر الإمام الجواد عليه السلام كانت تحدِّياً منه لخصومه، وتحدِّياً من خصومه له.

في ضوء هذا التّقدير، يمكن تفسير لجوء العباسيّين إلى قاضي القضاة يحيى بن أكثم، وإلى أهمّية ذلك المجلس «الرّسمي» الحاشد، والآمال العراض التي كان أركان النّظام يعلِّقونها على نتيجةٍ لم يكن يخطر ببالهم أنّها لن تتحقّق، بل ستَرتدّ كلّ محاولاتهم عليهم بالخيبة وعضّ اليدَين من فرط الحقد والخَيبة.

تعدُّد مجالس الإختبار والتّحدّي

ولم تقتصر المحاولات في مواجهة الإمام الجواد المعجزة، على هذا المجلس، ولا على المجالس التي أعدَّها النّظام وأركانه وعلماء بلاطه، بل امتدّت المجالس لتشمل خواصّ الأئمّة السّابقين خصوصاً الإمامَين الكاظم والرضا عليهما السلام، فقد كانوا موزّعين على أطياف فَهْم مختلفة، وكان القليل منهم يوقن بإمامة هذا «الصّبي» الذي أوتي الحكمة، أمّا أكثرهم فكانوا يريدون أن يسمعوا من الإمام الجواد نفسه ما يجعلهم يوقنون بأنّه عليه السلام «شبيه عيسى عليه السلام»، وفي هذا السّياق تقع المجالس واللّقاءات التي كانت تهدف إلى اختبار عِلم الإمام الجواد عليه السلام.

وممّا ينبغي الوقوف عنده طويلاً في معجزة صغر سنِّ الإمام الجواد، هو أنّه عليه السلام لم يُعمِّر طويلاً، فقد استُشهد في الخامسة والعشرين من عمره الشَّريف، وهذا يعني أنَّ كلّ فترة عمره كانت تحدّياً منه لخصومه، وتحدّياً من خصومه له، فمن الواضح أنَّ درجة التّحدّي هذه -من الطّرفَين- تخفّ تدريجيّاً مع تقدّم عمر الصّغير في السِّنّ، الذي تجلّت فيه المعجزة.

نستنتج أنَّ فرادة إعجاز إمامة الإمام الجواد عليه السلام، في المرتبة الأولى بين المعجزات الخاصّة جداً، وأنّها كانت في معرض التّحدّي والإختبار طيلة عمر الإمام عليه السلام.

نحوَ فهمٍ أفضل للمعصوم
من محاولات إختبارِ المعجزة

الشيخ محمّد علي متولّيان

أفضل أنواع التّعامل مع المعاجز التي ثبت إعجازها، أن نتعرَّف على أبعادها وخصائصها، بحيث يمكننا أن نعيش في أجوائها، فلا نكتفي بالإلمام بها أو معرفة كلّيّاتها.

إنَّ الفرق كبير بين مَن يحاول أن يعيش وكأنّه في زمن النّبيّ عيسى عليه السلام، فيتصوَّر نفسه بين مَن ﴿..قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ مريم:٢٩ وكأنّه سمع كلام النّبيّ عيسى عليه السلام، وهو في أوائل ساعات عمره الشّريف يقول: ﴿.. إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم:٣٠-٣١، -الفرق كبير بين هذا- وبين مَن يقرأ عن النّبيّ عيسى المعجزة ولا يحاول الوصول إلى أبعاد عظمة هذه المعجزة.

ما تقدّم ينطبق تماماً على مَن يقرأ أو يسمع بكلام الإمام الجواد عليه السلام في المهد، أو عن مجلس العباسيّين الحاشد في قصر المأمون، لاختبار مَن هو في حوالي التّاسعة، ولا يبذل الجهد المناسب ليعيش ظروف هذه المعجزة وكأنّه يستمع إلى كلام الإمام الجواد عليه السلام عند ولادته، أو كلامه في جواب قاضي القضاة، وعجْز هذا القاضي عن أن يتكلّم بكلمة غير السؤال الذي ظنّ أنّه سيُبطل به هذه المعجزة المحمّديّة الخالدة.

لذلك كان من الضّروري تتبُّع كلّ مجالس اختبار معجزة إمامة الإمام الجواد عليه السلام، بل كلّ محاولات ذلك حتّى ولو كانت عن طريق توجيه سؤال ليعجز الإمام -بزعم السّائل- عن الإجابة.

يمكن تقسيم مجالس اختبار هذه المعجزة الإلهيّة العظيمة التي تجلّت في إمامةِ صبيٍّ لأمّةِ جدِّه، إلى قسمين:

الأوّل: مجالس السُّلطة والنِّظام.

الثّاني: مجالس الشّيعة الذين لم يكونوا قد أيقنوا بعد بهذه المعجزة.

وقد تقدّم -ويأتي- حول القسم الأوّل ما يكفي -في هذا الملف- وإليك بعض ما ورد حول القسم الثاني.

أ- جاء في كتاب (عيون المعجزات) أنّه: لمّا قُبض الرِّضا عليه السلام كان سنُّ أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين النّاس ببغداد وفي الأمصار، واجتمع الريّان بن الصّلت، وصفوان بن يحيى، ومحمّد بن حكيم، وعبدالرحمن بن الحجّاج، ويونس بن عبدالرحمن، وجماعة من وجوه الشّيعة وثقاتهم، في دار عبدالرحمن بن الحجاج في «بركة زلُّول»، يبكون ويتوجّعون من المصيبة، فقال لهم يونس بن عبدالرحمن: دعوا البكاء! مَن لهذا الأمر وإلى مَن نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر عليه السلام.

من الضّروري تتبّع كلّ مجالس اختبار معجزة إمامة الإمام الجواد عليه السلام، بل كلّ محاولات ذلك ولو بمجرّد سؤال.

فقام إليه الريّان بن الصلت، ووضع يده في

حلقه، ولم يزل يلطمه، ويقول له: أنت تُظهر الإيمان لنا، وتُبطن الشّكّ والشِّرك. إن كان أمره من الله جلّ وعلا، فلو أنّه كان ابن يوم واحد، لكان بمنزلة الشّيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحدٌ من النّاس، هذا ممّا ينبغي أن يفكّر فيه. فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبّخه.

وكان وقت الموسم، فاجتمع فقهاء بغداد والأمصار وعلماؤهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحجّ، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام، فلمّا وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنّها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساطٍ كبير، وخرج إليهم عبدالله بن موسى [ابن الإمام الكاظم عليه السلام]، فجلس في صدر المجلس وقام منادٍ، وقال: هذا ابن رسول الله فمَن أراد السؤال فليسأله.

فسُئل عن أشياء، أجاب عنها بغير الواجب، فوَرَد على الشّيعة ما حيّرهم وغمّهم.

واضطرب الفقهاء، وقاموا وهمّوا بالإنصراف، وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يَكْمُل لجواب المسائل، لما كان من عبدالله ما كان، من الجواب بغير الواجب.

ففُتح عليهم بابٌ من صدر المجلس ودخل «موفّق» وقال: هذا أبو جعفر، فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه، وسلّموا عليه، فدخل صلوات الله عليه، وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان، وجلس وأمسك النّاس كلّهم، فقام صاحب المسألة، فسأله عن مسائله، فأجاب عنها بالحقّ، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إن عمّك عبدالله أفتى بكيت وكيت، فقال: «**لا إله إلّا الله، يا عمّ إنّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه، فيقول لك: لِمَ تُفتي عبادي بما لم تعلم، وفي الأُمّة مَن هو أعلم منك؟!**».

إن كان أمره من الله جلّ وعلا، فلو أنّه كان ابن يوم واحد، لكان بمنزلة الشّيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحدٌ من النّاس.

ب- وروي أنّه جيء بأبي جعفر عليه السلام إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبيه، وهو طفل، وجاء إلى المنبر ورقا منه درجة، ثمّ نطق، فقال: «**أنا محمّد بن عليّ الرضا، أنا الجواد، أنا العالِم بأنساب النّاس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم وما أنتم صائرون إليه، علمٌ مُنحنا به قبل خَلْق الخَلْق أجمعين، وبعد فناء السَّماوات والأرضين، ولولا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضّلال، ووثوب أهل الشكّ، لقلت قولاً تعجّب منه الأوّلون والآخرون..**».

ج - وقال اسماعيل بن بزيع: سألته -يعني أبا جعفر الثاني عليه السلام- عن شيءٍ من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمام إبن أقلّ من سبع سنين؟ فقال: «**نعم وأقلّ من خمس سنين**».

د - قال عليّ بن أسباط: «رأيتُ أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ فأخذتُ أنظر إليه وجعلتُ أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتّى قعد، فقال عليه السلام: **يا عليّ! إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ في النّبوّة، فقال:** ﴿.. وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم:١٢ ﴿..بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ..﴾ الأحقاف:١٥، **فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبيّ، ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سنة**».

«..أَمْسَكَ رَمَقي حُسْنُ الظَّنِّ بك..»

دعاء الإمام الرِّضا للشَّدائد*

«شعائر»

قال السيّد الجليل إبن طاوس في (مهج الدعوات):

وجدناه من كتاب (أصل) يونس بن بكير، قال: وسألت سيِّدي [الإمام الرضا عليه السلام] أن يعلّمني دعاءً أدعو به عند الشَّدائد، فقال لي: يا يونس تحفظ ما أكتبُه لك، وادعُ به في كلّ شدَّة تُجابُ وتُعطى، ثمّ كتب لي:

بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ أللّهمَّ إنَّ ذُنُوبي وكَثْرَتَها قد أَخْلَقَتْ وَجْهي عِندَكَ وحَجَبَتْني عن اسْتِهالِ رَحْمَتِكَ وبَاعَدَتْني عن اسْتيجَابِ مَغْفِرَتِكَ، ولَوْلا تَعَلُّقي بآلائِكَ وَتَمَسُّكي بالدُّعاءِ وما وَعَدْتَ أَمثالي مِنَ المُسْرِفينَ وأَشْباهي مِن الخاطِئينَ، وأَوْعَدْتَ القَانِطينَ مِن رَحْمَتِكَ وبِقَوْلِكَ ﴿..يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ﴾، وحَذَّرْتَ القانِطينَ مِن رَحْمَتِكَ فَقُلْتَ ﴿..ومَنْ يَقْنَطُ مِن رَحمَةِ رَبِّهِ إلَّا الضَّالُّونَ﴾. ثمَّ نَدَبْتَنا بِرَأْفَتِكَ إلى دُعائِكَ فَقُلْتَ ﴿..ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذينَ يَسْتَكبِرُونَ عَن عِبادَتي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾، إلَهي لَقَدْ كانَ ذلكَ الإياسُ عَلَيَّ مُشْتَمِلاً والقُنُوطُ مِنْ رَحمَتِكَ مُلْتَحِفاً (لكانَ ذُلُّ الأَياسِ عليَّ مُشتمِلاً والقُنوطُ من رَحمتِكَ بي مُلتَحِفاً)، إلَهي لَقَدْ وَعَدْتَ المُحْسِنَ ظَنَّهُ بِكَ ثَواباً، وأَوْعَدْتَ المُسيئَ ظَنَّهُ بِكَ عِقاباً، أللّهمَّ وقدْ أَمْسَكَ رَمَقي حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ في عِتْقِ رَقَبَتي من النَّارِ وتَغَمُّدِ زَلَّتي (زَلَلي) وإقالَةِ عَثْرَتي. أللّهمَّ قُلْتَ في كِتابِكَ وقَوْلُكَ الحَقُّ الَّذي لا خُلْفَ لهُ ولا تَبْديلَ ﴿يَوْمَ نَدْعوا كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِم..﴾ وذلِكَ يَوْمُ النُّشورِ إذا نُفِخَ في الصُّورِ وبُعْثِرَ ما في القُبُورِ. أللّهمَّ إنِّي أُوفي وأَشْهَدُ وأُقِرُّ ولا أُنْكِرُ ولا أَجْحَدُ، وأُسِرُّ وأُعْلِنُ وأُبْطِنُ بأنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلَهَ إلاَّ أنتَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ وأنَّ مُحمَّداً عَبْدُكَ ورَسُولُكَ صلّى الله عليه وآلِهِ، وأنَّ عليّاً أميرَ المُؤمنينَ سَيِّدَ الأَوْصياءِ وَوَارِثَ عِلْمِ الأَنْبياءِ، عَلَمَ الدِّينِ ومُبيرَ المُشركينَ ومُمَيِّزَ المُنافِقينَ ومُجاهِدَ المارِقينَ، إمَامي وحُجَّتي وعُرْوَتي وصِراطي ودَليلي وحُجَّتي، ومَنْ لا أَثِقُ بأَعْمالي -ولَوْ زَكَتْ ولا أَراها مُنْجِيَةً لي ولوْ صَلُحَتْ- إلَّا بِوِلايَتِهِ والإئْتِمامِ بِهِ والإقْرارِ بِفَضائِلِهِ والقَبُولِ من حَمَلَتِها والتَّسليمِ لِرُواتِها. وأُقِرُّ بأَوْصِيائِهِ مِنْ أبنائِهِ أئِمَّةً وحُجَجاً وأَدِلَّةً وسُرُجاً وأعلاماً ومَناراً وسادَةً وأبْراراً، وأُؤمِنُ بِسِرِّهِمْ وجَهْرِهِمْ وظاهِرِهِمْ وباطِنِهِمْ وشاهِدِهِمْ وغائِبِهِمْ، وحَيِّهِمْ ومَيِّتِهِمْ، لا شَكَّ في ذَلكَ ولا ارْتِيابَ عِنْدَ تَحوّلِكَ (ولا ارتيابَ يُحوِّلُني عنهُ) ولا انقِلاب. أللّهمَّ فادْعُنِي يَوْمَ حَشْري ونَشْري بِإمَامَتِهِمْ وأَنْقِذْني بِهِم يا مَوْلايَ مِن حَرِّ النِّيرانِ وإنْ لَمْ تَرْزُقْني رَوْحَ الجِنانِ، فإنَّكَ إنْ أَعْتَقْتَني من النَّارِ كُنْتُ من الفائِزينَ. أللّهمَّ وقد أَصْبَحْتُ يَوْمي هذا لا ثِقَةَ لي ولا رَجاءَ ولا لَجَأَ ولا مَفْزَعَ ولا مَنْجا غَيْرَ مَنْ تَوَسَّلْتُ بِهِمْ إليْكَ، مُتَقَرِّباً إلى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ عليه وآلِهِ، ثمَّ عَلِيٍّ أمير المُؤْمِنينَ، و(سيِّدَتي فاطمة) الزَّهْراء سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمينَ، والحَسَنِ والحُسينِ، وعليٍّ، ومحمَّدٍ، وجعفرٍ، ومُوسى، وعليٍّ ومحمَّدٍ، وعليٍّ، والحَسَنِ، ومَنْ بَعْدَهُمْ يُقيمُ المَحَجَّةَ إلى الحُجَّةِ المَستُورَةِ مِنْ وُلْدِهِ المَرْجُوِّ لِلأُمَّةِ مِن بَعْدِهِ (ومُقيمُ المَحَجَّةِ من بَعدِهِم، الحُجَّةُ المستورَةُ من وُلدِهِم، والمرجوُّ للأمّةِ من ذُرِّيَّتِهِم). أللّهمَّ فاجْعَلْهُمْ في هذا اليَوْمِ وما بَعْدَهُ حِصْني مِنَ المَكارِهِ، ومَعْقِلي من المَخاوِفِ ونَجِّني بِهِم مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وطاغٍ وباغٍ وفاسِقٍ (وفاسقٍ وباغٍ)، ومن شَرِّ ما أَعرفُ وما أُنْكِرُ وما اسْتَتَرَ عنِّي وما أُبْصِرُ ومِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ ربِّي آخِذٌ بِناصِيَتِها إنَّكَ على صِراطٍ مُستَقيم. أللّهمَّ بِتَوَسُّلي بِهِم إليكَ وتَقَرُّبي بِمَحَبَّتِهِم وتَحَصُّني بإمامَتِهِم إفْتَحْ عليَّ في هذا اليومِ أبْوابَ رِزْقِكَ وانْشُرْ عليَّ رَحْمَتَكَ وحَبِّبْني إلى خَلْقِكَ وجَنِّبْني بُغْضَهُم وعَداوَتَهُم، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ. أللّهمَّ ولِكُلِّ مُتَوَسِّلٍ ثوابٌ ولِكُلِّ ذي شَفاعةٍ حَقٌّ فأَسألُكَ بِمَنْ جَعَلْتُهُ وَسيلَتي إليكَ وقَدَّمْتُهُ أمامَ طَلِبَتي أنْ تُعَرِّفَني بَرَكَةَ يَوْمي هذا وشَهْري هذا وعامي هذا، أللّهمَّ وهُمْ مَفْزَعي ومَعونَتي في شِدَّتي ورَخائي وعافِيَتي وبَلائي ونَوْمي ويَقظَتي وظَعْني وإقامتي وعُسْري ويُسْري، وعلانِيَتي وسِرِّي وإصباحي وإمسائي (صباحي ومسائي) وتَقَلُّبي ومَثْواي وسِرِّي وجَهْري. أللّهمَّ فلا تُخَيِّبْني بِهِم من نائِلِكَ ولا تَقْطَعْ رَجائي من رَحمتِكَ، ولا تُؤيِسْني من رَوْحِكَ ولا تَبْتَلِني بانْغِلاقِ أبوابِ الأَرْزاقِ وانْسِدادِ مَسالِكِها وارتِياحِ (وارتتاج) مذاهِبِها، وافْتَحْ لي من لَدُنْكَ فَتْحاً يَسيراً واجْعَلْ لي مِن كُلِّ ضَنْكٍ مَخْرَجاً وإلى كُلِّ سَعَةٍ مَنْهَجاً، إنَّكَ أرحَمُ الرَّاحمينَ (أللّهمَّ واجعل اللّيلَ والنَّهارَ مُختَلِفَيْنِ عليَّ برحمَتِكَ ومُعافاتِكَ ومَنِّكَ وفضلِكَ ولا تُفقِرني إلى أحدٍ من خَلْقِكَ برحمتِك يا أرحمَ الرّاحمين إنَّكَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ وبِكُلِّ شيءٍ مُحيطٌ وحسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ) وصلّى اللهُ على مُحمَّدٍ وآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرينَ (وآله الطّاهرين المعصومين)، آمينَ ربَّ العالَمينَ.

* ما بين الأقواس نقلاً عن (مصباح) الشيخ الكفعمي قدس سره

الإنتظار الحقيقي، ووَهْمُ الإنتظار

«ما أكثر الضّجيج، وأقلَّ الحجيج»

إعداد: علي بركات

هذه القصّة مُعرَّبة من الفارسيّة من كتاب (مطلع أنوار)، الجزء الأوّل، الصفحة ١١٧-١١٩، وهو كتاب يمثّل الدورة المحقّقة والمنقّحة للمكتوبات الخطيّة: المراسلات، والمواعظ، لسماحة آية الله السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطّهراني قدس سره، وقد تمّت مطابقة القصّة مع المتن الفارسي للكتاب.
جديرٌ بالتّذكير، أنّ العلّامة الطّهراني فقيهٌ عارف، كما شَهد له الإمام الخامنئي دام ظلّه، وهو كبير تلامذة السيّد الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان)، وأستاذ الشّهيد مطهّري رضوان الله عليهم أجمعين.

تكمُن أهميّة هذه الرواية للقصّة في توثيق السيّد الطّهراني لها، بذِكْرِ تفاصيل تُعزِّز الثّقة بمضمونها، علماً بأنّ العِبرة هامّة جداً حتّى في فرض عدم الثّبوت، وتتلخّص العِبرة في ضرورة الحَذَر من «وَهْم الإنتظار»، و«وَهْم الولاية» الذي هو ذات الحذر من ادّعاء الإيمان، و«إخراج النّفس من حدِّ التّقصير»، لأنّه يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦.

المُنتظِرون الحقيقيّون قليل، وواجبنا في عصر الغَيْبة أن نُهذِّب أنفسنا طلباً لرضا الله تعالى، وقد أَمَرنا سبحانه أن نأتي البيوت من أبوابها فنطلب رضا إمام زماننا، لأنّه صاحب الأمر الذي يتنزّل في ليلة القدر، من دون أن نقع في وَهْم الوصول إليه، والإستعداد لنصرته عليه السلام، بل نرجو ذلك ونَحذَر من سُوء العاقبة، ونخاف من ذنوبنا ومساوىء الأخلاق.

والمقياس هو «الرِّسالة العمليّة والأحكام الشرعيّة»: فهي حدود الله تعالى التي يَظهر عليه السلام لتطبيقها، ﴿..يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ..﴾ الأنعام:١٥٨.

«شعائر»

القصة

قال السيّد الطّهراني قدس سره:

نقل الآغا «مير جهاني» هذه الحكاية (وهو من وُعّاظ خراسان الشّهيرين، ومن محترمي العتبة الرضويّة المقدّسة، كما أنّه رجلٌ عالم)، وقد سمع «العبد» [السيّد الطهراني يقصد نفسه] هذا النّقل أيضاً من الميرزا «أحمد مصطفى سَنْكر» في النّجف الأشرف، ومن سائر الأصدقاء، وهو كما يلي:

كان في الحلّة رجلٌ كثير العبادة والزّهد، وكان عالِماً، وكان يدعو النّاس إلى انتظار فَرج حضرة بقيّة الله عجل الله فرجه، وكان يدعوهم إلى البكاء والنُّدبة والدُّعاء بتعجيل الظُّهور، إلى أن وصل الأمر بجماعة منهم -وقد كان كُلّ همّهم الدُّعاء للفَرَج- إلى تشكيل مجالس خاصّة للدُّعاء بذلك والقيام عليها، واشتروا كلّهم سيوفاً، انتظاراً لظهور الإمام. كان إسم ذلك الرجل «الشّيخ علي الحلّاوي»، وإلى الآن وبعد سنين، ثمّة مقام للإمام الحُجّة عجل الله فرجه ما يزال قائماً في منزله.

في أحد الأيّام، كان الشّيخ عليّ ذاهباً من الكاظميّين إلى الحلّة، فتشرّف في الطّريق بلقاء الإمام وأظهر له كثيراً من الأدب، وطلب منه الظُّهور.

فقال له الإمام: إنَّ العِدّة التي وَعد ربِّي أن تتوفّر، لم تجهز إلى الآن، والثّلاثمائة وثلاثة عشر لم يَكتملوا بعد.

فقال له: روحي فداك. الآن يوجد في الحلّة أكثر من ألف شخص ينتظرون الفَرَج، وإن تَظهروا فإنّ جميع هؤلاء الأشخاص الذين يُشكّلون المجالس باستمرار، والذين ينقطعون إلى البكاء بسبب فراقكم، سيكونون في رِكابكم المُبارَك، وهم مُستعدُّون لخدمتكم.

فقال له الإمام: ليس الأمر كما تقول، ولا يوجد في الحلّة من المحبّين لي أكثر من شخصَيْن، أحدهما أنت والثّاني شابٌّ قصّاب، ومع ذلك إذا ذهبتَ

إلى الحلّة، فاجمع كلّ المُدّعين في منزلك وبشّرهم بِقُدومي، ومن غير أنَ يَتنبّه أحد، أحضِر خروفَين إلى سطح المنزل واربطهما قبل أن يأتوا، وانتظِر حتّى آتي.

دخل الشّيخ عليّ مدينة الحلّة، ودعا النّاس إلى منزله وبشّرهم بحضور الإمام عليه السلام. اجتمعَ المُحبُّون وابتهجوا .. رشُّوا العطر .. أشعلوا البخور .. وزيّنوا المكان بالأنوار، وكانوا يَعدُّون اللّحظات انتظاراً لحضور الإمام عليه السلام.

في هذه الأثناء تحرّك نورٌ أخضر من جهة القِبلة، إلى أن نزل إلى سطح منزل الشّيخ عليّ.

خرج الإمام من خلال هذا النُّور، واستقرّ في سطح المنزل.

نادى الإمام الشابّ القصّاب أوّلاً، فصعد إلى السَّطح وأمره بذبح أحد الخروفَين بالقرب من الميزاب. قام الشّاب بذبح الخروف، فجرى الدَّم في الميزاب، فقال الجميع لبعضهم: يا للعَجَب، لقد قَتَل الإمامُ الشّابَّ! نخشى أن ينادِيَنا الإمام ويذبحنا على السّطح نحن أيضاً!!

وفي هذه الأثناء نادى الإمامُ الشّيخَ عليّ، فصعد إلى السّطح، فقال له الإمام: شيخ عليّ، إذبح الخروف الآخر بالقرب من الميزاب، فذبح الخروف وجرى دمه في الميزاب، فسَيْطر الخوف والوحشة على النّاس، وصار كلٌّ منهم يقول لصاحبه: لقد قُتل الشّيخ عليّ أيضاً، سيقوم الآن الإمام بدعوتنا ثمّ يقطع رؤوسنا واحداً واحداً، فخاف كلّ واحدٍ منهم على نفسه، كلٌّ منهم إلى زاوية بحيث لا يراه أحد، واختار طريقاً للهرب.

شيئاً فشيئاً إنسحبوا كلُّهم ولم يبقَ أحد منهم، فقال الإمام: يا شيخ عليّ، نادِ أصحابك لكي يأتوا وينصروني، وادْعُهم لكي يأتوا إلى السّطح. وطالت مناداة الشّيخ عليّ، لكنّه لم يسمع جواباً، فأشرف على الدار، فإذا به لا يَجْد ولو شخصاً واحداً في المنزل!!

قال الإمام عليه السلام: أهؤلاء هُم الأنصار الذين كنتَ تَظنّ أنّهم لا يَقِرُّ لهم قرارٌ لِغَيْبتي، وأنّهم جميعهم حاضرون لِشرب كأس الشّهادة في ركابي؟!

زيارة صاحب الأمر عليه السلام يومَ الجمعة

أوردَ السيّد الجليل إبن طاوس قدس سره هذا الزيارة للإمام المنتظر عجل الله فرجه، وهي تُقرأ يومَ الجمعة، وهُوَ اليوم الذي يظهر فيه صلوات الله عليه:

السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَيْنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْمُهْتَدونَ، ويُفَرَّجُ بِهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الْمُهَذَّبُ الخائِفُ [على دين الله]، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الوَلِيُّ النّاصِحُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا سَفِينَةَ النَّجاةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَيْنَ الحَياةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ، صَلّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلى آلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ، عَجَّلَ اللهُ لَكَ ما وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ وَظُهُورِ الأَمْرِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ، أَنا مَوْلاكَ عارِفٌ بِأُولاكَ وأُخْراكَ. أَتَقَرَّبُ إِلى اللهِ تَعالى بِكَ وَبِآلِ بَيْتِكَ، وَأَنْتَظِرُ ظُهُورَكَ وَظُهُورَ الحَقِّ عَلى يَدَيْكَ، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ لَكَ وَالتّابِعِينَ وَالنّاصِرِينَ لَكَ عَلى أَعْدائِكَ، وَالْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ فِي جُمْلَةِ أَوْلِيائِكَ، يا مَوْلايَ يا صاحِبَ الزَّمانِ، صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكَ وَعَلى آلِ بَيْتِكَ، هذا يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَهُوَ يَوْمُكَ الْمُتَوَقَّعُ فِيهِ ظُهُورُكَ، وَالفَرَجُ فِيهِ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلى يَدَيْكَ، وَقَتْلُ الكافِرِينَ بِسَيْفِكَ، وَأَنا يا مَوْلايَ فِيهِ ضَيْفُكَ وَجارُكَ، وَأَنْتَ يا مَولايَ كَرِيمٌ مِنْ أَوْلادِ الكِرامِ، وَمَأْمُورٌ بِالضِّيافَةِ وَالإِجارَةِ فَأَضِفْنِي وَأَجِرْنِي صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكَ وعَلى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّاهِرِينَ.

قالَ السَّيِّد ابن طاووس قدس سره: وأَنا امتثَّل بعد هذهِ الزيارة بهذا الشِعر وأُشيرُ إليهِ عليه السلام وأقول:

نَزيلُكَ حَيْثُ ما اتَّجَهَتْ رِكابي ... وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ البِلادِ.

ركعتان يومَ الجمعة
..مغفوراً له، مقضيّةً حاجتُه

إعداد: خليل الشيخ علي

صلاة ركعتين، يُؤتى بها يوم الجمعة قبل الزّوال، رواها السيّدُ ابن طاوس في كتابه (جمال الأسبوع) عن الشيخ الطوسي قدّس سرّهما، عن الإمام الصادق عليه السلام، ثمّ علّق السيّد قائلاً:

«هذه صلاة جليلة عظيمة، يعرفها مَن أنعم الله جلَّ جلاله عليه بمعرفة أسرارها، وإيّاك أيّها العبد أن تهوِّن فيها. وكُن صادقاً في إخلاص العبادة بها، والإقتفاء لآثارها. واجتهد في تحصيل ما ترجو من الله جلَّ جلاله، بالإهتداء بأنوارها، من شرف الإخلاص، وتُحف الإختصاص».

قال الشيخ الطوسي رضوان الله عليه:

«روى محمّد بن داود بن كثير عن أبيه، قال: دخلت على سيّدي الصادق عليه السلام فرأيتُه يصلّي، ثمّ رأيته قَنَتَ في الركعة الثانية، في قيامه وركوعه وسجوده، ثمّ أقبل بوجهه الكريم إلى الله تعالى، ثمّ قال: **يا داود، هما ركعتان، واللهِ لا يُصلّيهما أحدٌ فيرى النّار بعينه بعد ما يأتي بينهما ما أتيت**، فلم أبرح من مكاني حتّى علّمني.

قال محمّد بن داود: فعلِّمني يا أبه، كما علَّمك.

قال: إنّي لَأُشفِقُ عليك أن تضيّع.

قلت: كلّا إن شاء الله.

قال: إذا كان يوم الجمعة، قبل أن تزول الشمس [قبل الظهر] فصلِّهما، واقرأ:

في الركعة الأولى: فاتحة الكتاب، و(إنّا أنزلناه).

وفي الثانية: فاتحة الكتاب، و(قل هو الله أحد)، وتستفتحهما بفاتحة الكتاب. (أي الحمد أوّلاً في الركعتين).

فإذا فرغت من قراءة (قل هو الله أحد) في الركعة الثانية، فارفع يديك قبل أن تركع وقُل في القنوت:

إلَهي، إلَهي، إلَهي أسْأَلُكَ رَاغِباً، وأقْصُدُكَ سَائلاً، وَاقِفاً بَيْنَ يَدَيْك، مُتَضَرِّعاً إلَيْكَ، إنْ أَقْنَطَتْنِي ذُنُوبِي، نَشَّطَنِي عَفْوُكَ، وإنْ أَسْكَتَنِي عَمَلِي، أَنْطَقَنِي صَفْحُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وأسْأَلُكَ العَفْوَ، العَفْوَ.

ثمّ تركع وتفرغ من تسبيحك، وتقول:

هَذا وُقُوفُ العَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ، يَا رَبِّ أَدْعُوكَ مُتَضَرِّعاً ورَاكِعاً، متقرباً إلَيْكَ بِالذِّلَّةِ خَاشِعاً، فَلَسْتُ بِأوَّلِ مُنْطَوٍ (منطق) مِنْ حِشْمَةٍ متذلّلاً. أنت أحبُّ إليَّ مولاي، أنت أحبُّ إليَّ (مولاي).

فإذا سجدت، فابسط يديك كطالب حاجة [تضع ظهر كفّيك على الأرض مفتوحتَين وباطنهما نحو السماء]:

سُبْحَانَ رَبِّيَ الأعْلَى وَبِحَمْدِهِ، رَبِّ هَذِهِ يَدَايَ مَبْسُوطَتَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وهَذِهِ جَوَامِعُ بَدَنِي خَاضِعَةٌ بِفِنائِكَ، وَهَذِهِ أسْبَابِي مُجْتَمِعَةٌ لِعِبَادَتِك، لا أَدْرِي بِأَيِّ نَعْمَائِكَ أقُولُ، ولا لأيِّها أَقْصُدُ، لِعِبَادَتِكَ أمْ لِمَسْأَلتِك، أَمِ الرَّغبةِ إليك، فامْلأ قلبي خَشيةً مِنْكَ، واجْعَلْنِي فِي كُلِّ حَالاتِي لَكَ قصدي. أنت سيّدي في كلّ مكان، وإن حُجِبَتْ عَنْكَ أَعْيُنُ (حجبت عنك أعيُنَ) النَّاظِرِينَ إلَيْك. أسألُكَ بِكَ، إذْ جَعَلْتَ فِيَّ طَمَعاً فِيكَ بِعَفْوِكَ (لِعفوك)، أنْ تُصَلِّي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَرْحَمَ مَنْ يَسْأَلُكَ وَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ بِكَمَالِ عُيُوبِهِ وذُنُوبِهِ، لَمْ يَبْسُطْ إلَيْكَ يَدَهُ إلَّا ثِقَةً بِكَ ولا لِسَانَهُ إلاَّ فَرَحاً بِكَ، فَارْحَمْ مَنْ كَثُرَ ذَنْبُهُ على قِلَّتِهِ [أي ذُلِّه وحقارته]، وقَلَّتْ ذُنُوبُهُ في سِعَةِ عَفْوِكَ. وجَرَّأنِي جُرْمِي وذَنْبِي بِمَا جَعَلْتَ فِيَّ مِنْ طَمَعٍ إذا يَئِسَ الغَرُورُ الجَهُولُ مِنْ فَضْلِكَ، أنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وأسْأَلُكَ لإخْوَانِي فِيكَ العَفْوَ العَفْوَ.

ثمّ تجلس وتسجد الثانية، وقل: يا مَنْ هَدَانِي إلَيْهِ، وَدَلَّنِي حَقِيقَةَ الوُجُودِ عَلَيْهِ، وسَاقَنِي مِنَ الحَيْرَةِ إلَى مَعْرِفَتِهِ، وبَصَّرَنِي رَشَدِي (رُشدي) بِرَأْفَتِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، واقْبَلْنِي عَبْداً ولا تَذَرْنِي فَرْداً، أَنْتَ أَحَبُّ إلَيَّ مَوْلايَ (أَنْتَ أحبُّ إليَّ يا مَوْلاي).

ثمّ قال داود: واللهِ لقد حلف لي عليها جعفر بن محمّد عليهما السلام، وهو تجاه القبلة، أنّه لا ينصرفُ أحدٌ من بين يدَي الله تعالى إلّا مغفوراً له، وإن كانت له حاجة قضاها».

من أذكار الصَّباح والمساء
للحِفظ، والأمان، وتكفيرِ الذّنوب

إعداد: عبد الله النابلسي

«إنّ إبليس عليه لعائن الله يبثُّ جنوده من حين تغيب الشَّمس وتطلع، فأكثروا ذكر الله عزَّ وجلَّ في هاتين السَّاعتين، وتعوَّذوا بالله من شرِّ إبليس وجنوده، وعوّذوا صغاركم في هاتين السّاعتين، فإنّهما ساعتا غفلة».

الإمام الباقر عليه السلام

فرائد من أذكار الصباح والمساء التي وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، تضعُها «شعائر» بين يدَي قرّائها الكرام في سياق تعزيز ثقافة الذِّكر.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن أصبح ولم يذكر أربعة، أخاف عليه زوال النِّعمة: الحمدُ لله الذي عرّفني نفسه ولم يترُكني عَميان القلب، الحمدُ لله الذي جعلَني من أمّةِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله، الحمدُ لله الذي جعل رزقي في يديه ولم يجعله في أيدي الناس، الحمدُ لله الذي سترَ عليَّ عيوبي ولم يفضَحني بين الخلائق».

بسم الله خيرِ الأسماء

وعنه صلى الله عليه وآله: «من دعا بهذا الدعاء في كلّ صباح ومساء وكَّل الله تعالى به أربعاً (أربعة) من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله، وكان في أمان الله عزَّ وجلَّ، وإن حاولت الخلائق من الجنِّ والإنس أن تضرّه ما تمكّنت، وهو هذا الدعاء:

بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، بِسْمِ اللهِ خَيْرِ الأسماءِ، بِسْمِ الله رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّماء، بِسْمِ الله الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ سَمٌّ وَلا داءٌ، بِسْمِ الله أَصْبَحْتُ [تقول: أمسيتُ عند قراءة الدعاء مساءً] وَعلى الله تَوَكَّلْتُ، بِسْمِ الله عَلى قَلْبي وَنَفْسي، بِسْمِ الله عَلى ديني وَعَقْلي، بِسْمِ الله عَلى أَهْلي وَمالي، بِسْمِ الله عَلى ما أَعْطاني رَبِّي، بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماء وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ. أَللهُ أَللهُ رَبّي، لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ مِمّا أَخافُ وَأَحْذَرُ، عَزَّ جارُكَ وَجَلَّ ثَناؤُكَ، (وتقدّست أسماؤك) وَلا إلهَ غَيْرُكَ، أَللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ سُلْطانٍ شَديدٍ، (ومن شرِّ كلِّ شيطانٍ مَريد) وَمِنْ شَرِّ كُلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ، وَمِنْ شَرِّ قَضاءِ السُّوءِ، وَمِنْ كُلِّ دابَّةٍ (ومن شرّ كلّ دابّة) أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ، وأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفيظ. إِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذي نَزَّلَ الكِتابَ وَهوَ يَتَوَلّى الصّالِحينَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ الله لا إلهَ إِلّا هوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ، فَسَيَكفيكَهُمُ اللهُ وهو السَّميعُ العليم، ولا حولَ ولا قوّة إلّا بالله العليِّ العظيم، وصلّى اللهُ على خيرِ خلقِه محمّدٍ وآله الطاهرين».

.. لم يُكتَب من الغافلين

الإمام الباقر عليه السلام: «من قال عند طلوع الفجر: لا إلهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلهُ الحَمْدُ يُحْيي ويُميتُ وَهوَ حَيّ لا يَموتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهوَ عَلى كُلِّ شَيٍ قَديرٌ، عشر مرّات، وصلّى عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عشراً، وسبَّح خمساً وثلاثين مرة، وهلَّل خمساً وثلاثين مرّة، وحَمد الله خمساً وثلاثين مرّة، لم يكتب في يومه ذلك من الغافلين، وإن قاله ليلاً لم يُكتب فيه من الغافلين».

الذِّكرُ الفريضة

الإمام الصادق عليه السلام: «فريضة على كلّ مسلم أن يقول قبل طلوع الفجر عشر مرّات، وقبل غروبها عشر مرات: لا إلهَ إلّا اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ يُحيي ويُميت (ويُميتُ ويُحيي) وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». وفي بعض الروايات: إن فاتك فاقضِهِ قضاءً، وإنّ ذلك كفّارة للذنوب.

وعنه عليه السلام: «..تقول: أعوذُ بالله السّميعِ العليمِ من هَمَزاتِ الشّياطين، وأعوذُ بك ربِّ أن يَحْضُرون، إنّ الله هو السميع العليم، عشر مرّات، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، فإنْ نسيتَ قضيتَ كما تقضي الصلاةَ إذا نسيتَها».

الدّرع الحصينة

الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدَع أن تقول ثلاثاً صباحاً وثلاثاً مساءً: أَللّهُمَّ اجْعَلْني في دِرْعِكَ الحَصينَةِ الَّتي تَجْعَلُ فيها مِنْ تُريدُ».

جناحُ جبرائيل

الإمام الصادق عليه السلام: «من قال هذا القول ثلاث مرّات حين يُمسي خُفّ بجَناح من أجنحة جبرائيل حتّى يُصبح: أستَوْدِعُ الله العَليَّ الأعْلى الجَليلَ العَظيمَ نَفْسي وَمَنْ يَعْنيني أمْرُهُ، أسْتَودِعُ الله نَفْسي المَرْهوبَ المَخُوفَ المُتَضَعْضِعَ لِعَظَمَتِهِ كُلُّ شَيء».

آية الله الشيخ عبد الله نظري منفرد:

* إطاعة الإمام الخامنئي واجبة على الجميع

إعداد: «شعائر»

الفقيه الزّاهد آية الله عبدالله نظري منفرد (خادم الشّريعة)، من أبرز علماء محافظة مازندران الإيرانيّة، وأستاذ البحث الخارج في الفقه والأصول في الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة، كانت له إسهامات كبيرة في مسيرة الثورة الإسلاميّة في إيران منذ انطلاقتها وحتى انتصارها. لم يرغب في تولّي أيٍّ من المناصب في النّظام الإسلامي مؤثراً العودة إلى خدمة الشّريعة من خلال مواصلة جهاده العلمي في البحث والتّدريس، ويقول عن نفسه بأنّه في أيّ وقت تحتاج الثّورة الإسلاميّة إلى الدّفاع المستميت فسينزل إلى ساحات المواجهة.

في هذا الحوار الذي أجرته وكالة «رسا» الإيرانيّة في شهر آذار الفائت –وتقدّمه شعائر لقرّائها مختصراً– يستعرض سماحة آية الله نظري صُوَراً من علاقته بالإمام الخميني قدس سره والإمام الخامنئي دام ظله ومشاركاته في الثّورة على الشّاه.

* كيف تعرّفتم إلى الإمام الخميني قدس سره؟

تعرّفت إليه أوّل مرّة في حلقة الدرس، كنت أحضر درس الفقه للمرحوم آية الله البروجردي، وأشتركُ في درس الأصول للإمام الخميني قدس سره، وفي أحد الأيّام وبعد انتهاء الدرس ذهبت إلى بيته في محلّة «جوب شور» بمدينة قم، فسألني: من أيّ مكان في مازندران؟ فقلت: من «سوادكوه». فقال: كيف حال النّاس هناك؟

كان شيئاً جديداً بالنسبة إليّ أن يسأل فقيهٌ وعالم ومدرّس عن أوضاع النّاس وأحوالهم المعيشيّة، فقلت: ليست على ما يرام، فهم يعيشون الضّيق والحرمان -كان ذلك قبل الثورة بالطّبع، قبل سنة ١٩٦١ ميلاديّة-، وهنا تنهّد الإمام وقال: إنّ لإيران القدرة على الإدارة الحديثة لأوضاع مائة وثمانين مليون شخص، ولكن مع الأسف ثلاثون أو أربعون مليون شخص يعيشون بهذه الأوضاع. ومن هنا ازداد حبّي وإيماني بالإمام يوماً بعد يوم.

أيّام الثورة

* كان لكم دور ريادي في تحفيز النّاس على الثّورة في مازندران، كيف تمّ ذلك؟

آية الله نظري منفرد

كان تردّدي على مازندران وبخاصة «سوادكوه» مؤقّتاً من أجل التّبليغ والإرشاد وتقديم الخدمات الثقافيّة والعلاجيّة والعمرانيّة والإجتماعيّة، ذلك لأنّني كنت في زمن المرحوم آية الله البروجردي مدرّساً في الحوزة العلميّة. ولكنّ الإمام الخميني رحمه الله استدعاني ذات يوم وأمرني مباشرة وهو يقول: «يجب أن تذهب إلى مازندران وتساعدنا في هذه النّهضة العظيمة». وأنا مؤمنٌ به وهو أستاذي أيضاً، ولذلك كان أمرُه بالنسبة لي تكليفاً وواجباً، وقد عملتُ طبقاً لتكليفي حيث بدَأتُ آنذاك حركة ثوريّة من قِبَل علماء الدِّين في مازندران، ولأنّني كنت مشهوراً بين أهاليها فيُمكنني أن أؤثّر فيهم، ولذلك عدتُ لكي أستفيد من هذه الشّهرة للترويج للثّورة ومتابعة ما يتعلّق بالحوزات العلميّة وبشؤون المحافظة، ولاقيتُ استقبالاً جيّداً من قِبل الناس وعشائر «سوادكوه» و«قاديكلا بزرك» في مدينة «قائمشهر» -علي آباد سابقاً- وكذلك في مدينة «ساري» وغيرها من مدن مازندران.

النّشاطات التي أُنجزت هناك كانت مؤثّرة جداً ولا نظير لها، ففي اليوم الذي وقّع فيه البيان تسعة من مراجع التّقليد بمدينة قم [بيان معادٍ للشاه ومؤيّد للثورة]، أتيت به إلى «سوادكوه» وقرأتُه على النّاس في إحدى حفلات الزّواج لبعض الأقارب، وكان حاضراً فيها عدد من الشخصيّات البارزة

ورؤساء العشائر، فتعجّب النّاس في بداية الأمر، وقالوا: وهل يمكن القيام بعمل كهذا؟ فأوضحتُ لهم أنّ علماء الدِّين بعيدو النَّظر ولا يقومون بعمل بدون تأمّل وتدبُّر، فوافق الجميع في آخر الأمر، وقالوا في نفس المكان: نحن مطيعون لكلّ ما تقول، حتّى أنّ بعض شيوخ العشائر قالوا بأنّهم حاضرون للقيام بثورة مسلّحة، فذهبتُ إلى آية الله الميلاني بطهران وأخذت رأيه في الأمر، فقال بأنّ الوقت ما زال مبكّراً على ذلك.

يعيش في «سوادكوه» كثير من شيوخ العشائر والأعيان والمفكّرين، ومع أنّ فيها مسقط رأس الشّاه غير أنّهم لا يعترفون به، إلّا قليل من أقاربه، وأكثر الشّخصيّات البارزة في «سوادكوه» لا ينظرون إليه باحترام، حتى إنّهم لا يطلقون عليه لقب «شاه».

وعلى كلّ حال، شعرت شخصيات «سوادكوه» ببعض الإضطراب في بادئ الأمر، لذلك تردَّدَتْ قليلاً في مواكبة الثّورة، وذات يوم قلت لهم: إنّ لجميع العلماء رأياً واحداً في سبيل قيام الثّورة، وأنتم إذا أردتم اجتثاث جذور الظُّلم فعليكم بالطّاعة، لأنّ المسألة ليست شخصيّة، بل هي مسألة مبادئ وأصول الدِّين والقرآن، ومن أجل ذلك ثار الإمام وجميع علماء الدِّين. وفي النّهاية اقتنعوا بكلامي وسلّموا به.

وفي مقالة من أربع عشرة مادّة متنُها وهوامشها لي، وخطّها الجميل لأحد علماء مازندران وهو المرحوم الشّيخ أبو القاسم الرّحماني، كنّا نخاف أن لا تطبعها المطابع، لذلك كتبها بخطّه ثمّ أعطيتُ مبلغ أربعة آلاف تومان لنجل المرحوم آية الله المشكيني ليُكَثّرها ويحوّلها إلى كراريس صغيرة، ووزّعها المرحوم الفريق «قرني» بنحوٍ عالميّ على جميع سفارات الدُّول والأماكن المهمّة، هذا البيان المهمّ موجّهٌ ضدّ الشّاه في أربع عشرة مادّة، وما زال موجوداً لديّ، ويُعتبر من الوثائق التّاريخيّة المهمّة للثّورة، في هذه الأربع عشرة مادّة أَدَنْتُ الشّاه وأثبتُّ عدم أهليّته للحكم، وانتهاجه لسياسة أخضعت البلاد للأجانب. وقد كان في ذلك الوقت يعتقد بأنّ العلماء لا يخالفونه كثيراً إلّا بعض المتشبّهين بعلماء الدِّين -على حدّ قوله- رُعاعٌ وسيقفون في وجهه.

* كيف كان تحرّككم في مازندران مع تصاعد حركة الشّعب والمسيرات قبيل انتصار الثّورة؟

كنت أقرأ وحدي رسالة الإمام في «سوادكوه» و«ساري» و«قائمشهر» وأماكن أخرى، وبالطبع تعاون معي العلماء كثيراً هناك، وفي اليوم الذي أقمنا الفاتحة عن روح السيّد مصطفى [نجل الإمام الخميني الذي اغتالته مخابرات الشاه] في مسجد الجامع بـ «ساري»، لم يجرؤ أيّ أحد على ارتقاء المنبر، وارتقاه المرحوم الشّيخ «مفيد روحاني زاده»، وهو من علماء الدِّين الخدومين والمجاهدين، ويَنتسب إلى عشيرة من بضع آلاف في «قاديكلا علي آباد».

وقد حدثت آنذاك تحرُّكات مؤثّرة في مسيرة الثّورة، مثلاً

الشيخ نظري منفرد يتقدّم موكب عزاء حسيني

انطلقنا ذات يوم من منطقة «زيراب» في «سوادكوه» في حدود مائة ألف شخص، واتّجهنا إلى منطقة «شيركاه»، ومن هناك واصلنا تظاهرتنا هاتفين باسم الإمام وقارئين رسالته، في الحقيقة لقد حوّلنا مدينة الشّاه إلى مدينة الإمام، كلّ هذا بالطّبع بمساندة ودعم النّاس بجميع طبقاتهم، نساءً ورجالاً وشِيباً وشباباً، بل حتّى نساء الأسرة والعشائر بعثوا برسائل إلى دوائر النّظام الظّالم لمساندة علماء الدِّين، قالوا فيها بأنّكم إذا تعرّضتم لسيّدنا وعالِمنا فسنقذف بكم في نهر «تلار» بـ«سوادكوه»، وفي الأنهار المتّصلة به إلى بحر قزوين. كان لي مثلُ هؤلاء الحُماة والمساندين لكي أتمكّن من طرح اسم الإمام في مسقط رأس الشّاه.

واستناداً إلى هذا الدَّعم المبدئي والأصيل تسلّحتُ بمساندة عشائر «سوادكوه» وذهبتُ إلى باريس لرؤية الإمام رحمه الله، فكتب بخطّه المبارك رسالة في بضعة أسطر شكر فيها علماء «سوادكوه» وأهلها وعشائرها، جاء فيها: «أُشكُرْهم لإبداء محبّتهم للإسلام وعلماء الدِّين ولتفقّدهم أحوالي، وانقل لهم سلامي». وهذه وثيقة سجّلها التاريخ، وتُعدّ ممّا تفتخر به عشائر «سوادكوه».

الإمام الخميني أيّام إقامته في باريس

*** ألم تكن لقوّات الشّاه القدرة على مواجهة تحرّكاتكم هذه؟**

كانوا يريدون ذلك، ولكن من جهة لم تكن لديهم القوّات الكافية، لأنّه ما كان هناك أكثر من عشرة إلى خمسة عشر من قوّات الدَّرك، ومن جهة أخرى كان النّاس كثيرين فلا يستطيعون مواجهة الجميع، حتّى أنّ «ثابتي» معاون اللّواء كتب أمراً، جاء فيه: من هو الشّيخ عبد الله نظري الذي يردّد اسم الحاج روح الله فيعلو ذكرُ الصّلوات؟ ألقوا القبض عليه. فقالوا له: لا يمكن، سيثور النّاس علينا. وعلى كلّ حال لقد كنت مراقَباً بنحو كامل.

*** كانت لديكم الجرأة على ذكر الإمام الخميني في تلك الظّروف، هل تسبَّب ذلك بالملاحقة لكم؟**

رأيت الإمام وقد تعرّض للظُّلم، فالنّاس يذكرون جميع العلماء سواه، ولذلك قرّرت في شهر رمضان أن أتعرّض لذكره عندما أتحدّث عن مسائل زكاة الفطرة، وأنّ على أهل مازندران [تشتهر هذه المحافظة بزراعة الأرُز] دفع الأرُزّ، ولذلك بيّنت هذه المسألة لدى جميع المراجع، مثل السيّد الخوئي، والسيّد الحكيم، واستعملتُ تعبير المرجع البعيد عن الوطن السيّد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني، فتعالت أصوات النّاس بالصّلوات على النّبيّ وآله.

وفي إحدى اللّيالي قلت مِن على المنبر: لا أدري أين رئيس وزراء إيران هذه اللّيلة؟ هل هو جالسٌ أمام منبر السيّد الخوانساري في مسجد السيّد عزيز الله؟ أم في المسجد الفلاني؟ أم أنّه في لندن لأنّ غداً عطلة؟ لعلّ في هذا الأسلوب نوعاً من السُّخرية، ولكن من المهمّ جدّاً أن يتكلّم أحد بهذا النّحو عن الشّاه آنذاك.

وذات مرّة خاطبتُ الشّاه من على المنبر قائلا: أُترك الحكم لأنّك لا تستطيع إدارة البلاد، وبهذا المضمون: لا تستطيع المحافظة على البلاد فتخلَّ عن الأمر. وعند المغرب جاء مجموعة من رجال السّافاك إلينا في المسجد، وكانوا يحلقون لحاهم ويعتمرون نوعاً معيّناً من القبّعات، وقالوا: يجب أن تحضر معنا هذه اللّيلة. قلت: أنا مشغول بالدّرس والمباحثة. فضحكوا وقالوا: أنت بنظر الدولة مجرم، وكانوا يريدون أن يأخذوك إلى السّافاك في طهران، ولكنّنا وضعنا ماء وجوهنا أمانة عندهم لكي لا يفعلوا، ولأنّ مفتّشاً سيأتي من العاصمة فيجب أن تأتي معنا. وأخذوني معهم، وفي التّحقيق معي حملت عليهم، قائلاً: لو قلنا لكم بأنّنا نريد نظاماً وقائداً إسلاميّاً فيجب أن تكونوا من الشّاكرين، فما يريده الإمام هو اجتثاث الظُّلم والمفاسد من المجتمع، ونحن لا نخضع لشرب الخمر، ولا السُّفور، ولا نتعاون مع الشّاه أبداً، ونضحّي بأنفسنا من أجل ذلك، لأنّ أصولنا توحيديّة واعتقاديّة، وللعلماء دور الوليّ في المجتمع خلال زمن الغَيْبة. فكتب المفتّش الذي جاء من طهران في تقريره: متّقٍ، عالم، معارض.

*** كيف كانت نشاطاتكم بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة؟**

بعد استقرار الثّورة الإسلاميّة، وفي يوم السّابع عشر من ربيع الأوّل، قلت للشيخ إشراقي [صهر الإمام]: أريد أن أرى الإمام. فأوصلني إليه، وقلت له: كما تعلم أنّني أحبّ الدّرس والبحث وحياة طالب علم بسيطة، واشتركتُ في المواجهة استناداً إلى الواجب الإسلامي والدِّيني، وقد وصلنا إلى هذا الحدّ والحمد لله، إذ ذهب ظالم وجاء عالِم واستتبّت حكومة الإسلام، فاسمحْ لي بمواصلة دروسي وأبحاثي. فقال الإمام: هذه الغرفة المقابلة غرفتي وهي مكتبُك، فإذا أردت أن تكون معنا فسنكون سعداء جدّاً بذلك. فقلت له: أنا خادم لكم، ولكن اسمح لي بأن أواصل مسيرتي العلميّة، وسأكون مطيعاً لأيّ أوامر وقرارات متى ما صَدَرت.

ومنذ أن انشغلتُ بالدّرس والعلم لم أتقبّل أيّ مسؤولية إجرائيّة وحكوميّة، ولكنّي كنت أؤدّي واجبي تجاه الثّورة في حدود المعقول والمشهور، ومتى ما أرى أنّها بحاجة إلى دعم ودفاع فسأقوم بوظائفي لا خوفاً ولا طمعاً.

مع الإمام الخامنئي

*** كيف كان تعرّفكم إلى الإمام السيّد الخامنئي؟**

كانت لي علاقات بعلماء مشهد، ولكنْ أقواها كانت بالسيّد

الخامنئي، فهو رفيق كفاح وطريق واحد، وصديق وزميل دراسة، حيث حضرنا معاً درس السيّد الإمام في قم، وشرّفنا عدّة مرّات هنا في «ساري»، فنحن تربطنا به علاقة حميمة، وهو يودّنا ونحن مخلصون له. لقد كان أساس الثّورة في مشهد.

*** كيف كان وضع الجهاد والنّضال أثناء دراستكم في قم؟**

كان الجميع يداً واحدة ومتّحدين حول الإمـام، فالثورة الإسلاميّة إنّما تقدّمت لاتّفاق آراء العلماء. الآن ربّما اضطربت الأوضاع قليلاً، لكنّها لم تكن كذلك حينها، كانت أفضل، وواجبنا الآن هو حفظ وحراسة هذه العظمة التي لم تاتِ إلّا بالجهود المتواصلة، والآلام، وشهادة الشّباب والنّاس وعلماء الدِّين. يجب أن نستثمر هذه الفرصة لمصلحة الإسلام والقرآن وعلماء الدِّين الشّيعة، الذين لهم محبّة خاصّة في المجتمع، فيجب أن لا يعطي البعض بأقوالهم وأفعالهم نقطة ضعف للأعداء، وعلى الجميع أن يبذلوا جهودهم للوصول إلى النّتيجة المطلوبة. وعلى كلّ حال، ينبغي على من له الصّلاحيّة أن يراقب الأمور ليحافظ على الثّورة وبقائها واستمرارها، ولكي لا تذهب سُدًى تلك الجهود التي بُذلت لانتصارها.

*** إنّ راية الجهاد والنّضال ضدّ الطاغوت كانت بيد الإمام قدس سره، ولكن بعض الجماعات اليوم تقول بأنّ لها دوراً أيضاً في زمن النّضال، فما حقيقة دورها في الثّورة؟**

لا دور للجماعات والتيّارات المختلفة إذا ما قُورنت بدور علماء الدِّين، الشّعب والعلماء كانوا في أحداث الثّورة، أي يمكن مشاهدة هذين الطَّيفَين بوضوح، بالطّبع هناك تيّارات أخرى كانت تعمل أيضاً، ولكنّها لم تكن مِحوَر المواجهة، فالأصل هو مسألة الفقيه، أي لا يمكن للشّيعة أن توجد بدون مرشد ديني كتابه القرآن، وبعد الإمامة والنّبوّة اللّتين لهما جنبة تنصيصيّة يأتي دور الفقهاء، ولا يمكن للشّيعة أن تنفصل عن العلماء أبداً، والجميع يُسلّم بدور الفقيه في الأحكام، ومن لوازم إجراء الأحكام وجود حكومة، وقد قامت الحكومة الإسلاميّة طبقاً للقانون الأساسي الذي صوّت له ويسلّم به الجميع، وعلى رأسها فقيه مؤهَّل مقتدِر، وهذه الطّريقة حسنة جداً.

وعلى كلّ حال، الناس أحرار اليوم في بيان عقائدهم وأفكارهم، والفقيه يستمع إليهم، ولا استبداد في الأمر، ولكن لو تكلّم الناس في أمر وقال الفقيه فيه برأي يخالف رأيهم، فالقول ما قاله الفقيه، لأنّه أعرفُ بموازين الدِّين والشّرع وما هو الأصلح للمجتمع.

منظر عام لبلدة «سوادكوه»

*** ما هو رأيكم في الأوضاع الحاليّة؟ وما هو واجب الأخوة الآن؟**

آية الله السيد الخامنئي هو قائد الثّورة، ويجب على الجميع دعم هذه المسيرة لتتقدّم الثّورة الإسلاميّة بدعمه وإطاعته، وأنا محبّ ومخلص له منذ زمن، فهو زاهد في مال الدُّنيا، مسيطر على عواطفه، ومن أسرة جليلة، وشخص جدير ومدير كفوء. كما ينبغي على الجميع أيضاً أن يتكاتفوا ليظلّ الدِّين والوطن محفوظين مُصانين.

توصيات لطَلبة الحوزة

*** كيف ترون الأوضاع الحالية للحوزة العلميّة؟ وبِمَ يختلف جيل طلبة الحوزة الحالي قياساً إلى السّابق؟**

أرى أنّ دروس ومباحثات الطَّلبة غَدَت أضعف وأقلّ، ويجب أن يبذلوا جهوداً أكثر في الجوانب الأخلاقيّة، لقد كان الطلّاب في ذلك الوقت أكثر وقاراً، واليوم كلّ العالم يراقبنا مراقبة شديدة، ولذلك يجب أن نكون أكثر دقّة. لقد اهتمّ الشيعة بالعِلم، والتّقوى، والحكمة العمليّة والنظريّة، هكذا كانوا على طول التّاريخ، واليوم يجب أن يكونوا كذلك أيضاً.

*** بماذا تنصحون الطَّلبة الشَّباب المشغولين بالدِّراسة في الحوزة العلميّة؟**

إشفعوا العِلم بالتَّقوى، واجعلوا الله سبحانه في جميع الأعمال نُصبَ أعينكم، واحترموا جهود الآخرين، وابذلوا جهوداً صادقة لتصلوا إلى النّتيجة المطلوبة.

*** هل لديكم توصية حول الدُّروس ونوعيّة الدِّراسة؟**

عليكم بـ (فقه الجواهر) الذي أوصى به الإمام الخميني، فهو جامع للعربيّة وأدبيّاتها، وللمعقول والمنقول كلّها في مكان واحد، ويجب أن يكون (فقه الجواهر) الحصن العلمي للطلّاب، وعليهم أن يبذلوا جهودهم لكي لا تضيع هذه الخزانة النّفيسة.

العلّامة الشّيخ محمّد جواد مغنيّة مشتغلاً بالعلوم العقليّة

فيلسوفٌ يُسدِّدُه الفقيه

محمود حيدر*

تُلقي هذه المقالة الضّوء على واحدة من أبرز الإشكاليّات المعرفيّة في الفكْر التّاريخي الإسلامي. عَنَيْنا بها إشكاليّة الجَمْع بين الفقه والفلسفة، واستطراداً بين العقلي والنّقلي ولا سيّما في ميدان العلوم الدّينيّة الحوزويّة. إذ غالباً ما جرى التّعامل مع هذين المُعطيَيْن العلميَّيْن وكأنّهما على طرَفَيْ نقيض.

هنا مُقاربة للتّجربة العلميّة الجامعة كما تتجلّى في سيرة العلّامة الرّاحل الشّيخ محمّد جواد مغنيّة. فسَيَتبيَّن لنا من خلال هذه المُقاربة أنّنا بإزاء عالم حَوْزَويّ استطاع أن يُحرز مهمّة المصالحة الخلّاقة بين الفقيه والقاضي والمتكلّم والدّاعية من دون أنْ يَقطع مع مهمّة الفيلسوف. حيث انصرف للدّفاع عن الدّين بما حصّله من مُنجزات العلوم الفلسفيّة قديمها وحديثها. «شعائر»

إذا كان «الإنسان قد أَشكَل عليه الإنسان» على ما يُبيِّن أبو حيّان التَّوحيدي، فأصل القضيّة في ذلك، مُشتغلات العقل. ويجوز القول: إنَّ الأصل في الإشكال هو الطَّريق الذي يسلكه العقل حين يفكِّر في عِلَلِ الشَّيء ومآلاته.

كذلك سنرى المشهد على أتمِّه في مسارات الفتنة الموصوفة بين النَّقل والعقل، أو بين الفقه والفلسفة. وتالياً بين واجبيّة الدِّين وضرورات الدُّنيا.

لم يُحسم الأمر. ولم تتوقَّف الفتنة. مثلما لم تَقُم المصالحة بين حقلَيْن إشكاليَّيْن يبدوان كأنَّهما في نزاعٍ مفتوح على الأبديّة: التّكلُّم والتّفلسُف.

نقترب من هذه المقدّمة حين نواجه حيّزاً معرفياً يتداخل فيه الحقلان معاً. تحيُّز الفقيه متوازياً مع تجرُّد الفيلسوف. ولنا في الكلام على موقعيّة الفلسفة في فِكر العلّامة محمَّد جواد مغنيّة ما يُضيء على هذه المواجهة.

مقاربة نِتاج العلّامة مغنيّة

لو قاربنا أعمال الشَّيخ مغنيّة لِنُقيم وإيّاها صِلة تعرُّف، لَظهرت على الجملة في وعاء الفلسفة. قد يبدو هذا الكلام مُفارقاً للمأثور من الشَّيخ. فأنتم بإزاء حَوْزَويّ حصَّل علوم الدِّين ليدفع بها عن الدِّين مقالة النّظار والمخالفين. فهو بهذه الصِّفة سوف يَتبوَّأ مقام العالِم، أو الفقيه، أو القاضي، أو المتكلِّم، أو الدَّاعية، أو هذه

الشيخ محمد جواد مغنيّة في الوسط يضمّ إليه شيخ الأزهر محمّد الفحّام إلى اليسار والشيخ أحمد الشرباصي عميد الأزهر إلى اليمين في قمّ إيران صيف ١٩٧١

المقامات على الجملة. فمن أين إذاً جاءنا الفيلسوف، وما الذي حَمَله إلى ما عزَّت مطارِحُهُ في فضاء التَّقرير الدِّيني المألوف لدى مدارس الفقه التّقليديّة.

ثمَّة مَنْ يَمضي بالسُّؤال إلى مسافة أبعد: كيف لِداعية أن يَدنو بالمساءلة من شأنٍ لا يُرى عنده إلَّا على وجه اليقين. أو كيف لِفقيه أن يواجه بعلامات الإستفهام ما هو مركوز في القلب، ومثبَّتٌ بالإيمان، ومسلَّمٌ به على الفطرة؟

لا شيء في السِّيرة العلميّة للعلَّامة مغنيّة يبدو خارج نطاق التَّساؤل. كان ذلك حاضراً لديه منذ الطفولة المسكونة بالفقر.

* رئيس «مركز دلتا» للأبحاث المعمّقة

حتى إذا ضمَّه القدرُ إلى محاريب الحوزة، لم يُغادر السُّؤالَ ولا فارقهُ السُّؤالُ لحظة. كما لو أنّه وَعى مبكراً أنّ الدِّين الذي أسلَمَ له الفؤاد لا مناصّ له من عارف. وأنَّ العارف لا يكون له مقام التعرُّف إلَّا بطيِّ منازل الجهل، منزلةً منزلة، وإشكالاً إثر إشكال، حتّى يأتيه اليقين.

في امتداد السِّتين كتاباً وأكثر وضعها العلَّامة مغنية، مجاهداتٌ مؤيَّدةٌ بشغف البَحث عن حقائق الكلمات والأشياء. مرجعُه الأوّل في التّساؤل القرآنُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا..﴾ العنكبوت:٦٩. كما لو استَيْقن الشّيخ من أنّ التَّساؤل بالنّسبة إليه هو تقوى الفكر وهداية العقل، وأنّ الهداية موصولةٌ بالمجاهدة والبذل. فَعَلِمَ إذّاك ما يجب أن يكون عليه الأمر. حتّى إذا عزم على التَّوجُّه إلى إستنتاج الأحكام، أدرك أنَّ المقام لا يستوي على الإنصاف إلَّا بالتقوى.

ولقد أخذ صاحبُنا بما دعا به الإمام الغزالي ذات مرّة، حين أَلزم نفسه بالقول المأثور: «أللّهمَّ إنِّي أعوذ بك من فتنة القَوْل، كما أعوذ بك من فتنة العمل». ولمّا كان ذلك كذلك، راح يُوسِّع من أرض القراءة حتّى صارت له مراجع أخرى.

لم يَكتفِ الشّيخ بالمقرَّر الحوزوي الذي امتلأ به وَفَاضَ، بل هو ذَهب في ما يتعدَّى كلمات الحوزة وأسفارها. مضى ليَغترف المزيد ممّا أَشكَل على الإنسان من بُحور الحداثة الغربيّة ومُنجزاتها. لم يكن العلَّامة مغنيّة، لمّا نَحَا هذا المَنْحى، مأخوذاً بفضولٍ عارضٍ للمعرفة. لقد كان على وَعْي بفضيلة القول الفلسفي كسبيل إلى كمال التَّعرُّف. وعنده أنَّ الأخذ بهذا القول الفلسفي يعني دفعَه إلى حقول الإشتغال الكلامي والفقهي، بل وفي كلِّ ما يتَّصل بعلوم الدِّين. ولذا سنجد كيف سَرَت نصوصُه وكتاباته مَسْرى الممارسة الفلسفيّة، حتّى وهو يتناول أدقَّ المُسَلَّمات من العقيدة.

لعلَّ قراءة ما في الجغرافيا الفلسفيّة الغربيّة من إنجازات، كانت بالنّسبة إلى عالِمٍ كالشّيخ مغنيّة ضرورة لِوَعي الذّات الثّقافيّة الإسلاميّة. فهذه الذّات السّارية في الزّمن لم تَعُد بالنّسبة إليه محبوسة ضمن قلعة مغلقة. ففي خلال الحقبة التّاريخية التي عاشها كفقيه -النّصف الثاني من القرن العشرين- بدت هذه الذّات في قلب الإحتدام. ولذا فلا بدّ لها من استكشاف مطارح الغير -خصيماً لدوداً كان أو صاحباً وديداً- لكي تكتمل صورتها عن نفسها. فصورة الذّات تُصنع أيضاً، وبنسبة ما، على عَيْن الآخر.

مع هذا الإقرار العقلاني بِجَدَليّة الصِّلة بالغير، كان الشّيخ يؤدِّي فعلاً فلسفيّاً لا مِراء فيه. فعلى حكم العقل يبقى إدراك الشّخصيّة الحضاريّة أمراً ناقصاً لو اكتفى المُتعرِّف بما لديه من أنباء وروايات عن الغير. فلا بدّ إذن، من حضور المقابِل لكي تَكتمل المعرفة. ذلك لأنَّ مثل هذا الحضور هو بنسبة ما، يُعتبر هويّة أخرى للذّات. فالتّعرُّف بمدلوله الفلسفي الواقعي هو فعلٌ لحدثٍ أصلُه الإعتراف بنظير. إمّا ليُثبِتُه في حقله على الودِّ والمشاركة، أو ليَظلَّ وإيّاه على الإختصام، إلى ﴿..لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولًا..﴾ الأنفال:٤٤.

لو قاربنا أعمال الشَّيخ مغنيّة لِنُقيم وإيّاها صِلة تعرُّف، لَظهرت على الجملة في وعاء الفلسفة. قد يبدو هذا الكلام مُفارقاً للمأثور من الشَّيخ. فأنتم بإزاء حَوْزَويّ حصَّل علوم الدِّين ليدفع بها عن الدِّين مقالة النّظار والمخالفين.

على هذا المدرج في النّظر إلى الغير، بما هو قيمة معرفيّة، يُحيل العلّامةُ مغنيّة عمليّة إنتاج الأفكار إلى ما يُمكن وصفه بفضاء التَّفلسُف العملي. ففي هذا المحلّ سوف تَتعيَّن لديه نهاجيّة مخصوصة في عالَم التَّفكير الدِّيني. وعليه سوف يقرِّر أنَّ مهمّته الفلسفيّة تَكمن في العمل الدَّؤوب على إنتاج السُّؤال، سعياً إلى جوابٍ ما، عبر ولادات فكريّة ومعرفيّة تجتاز العصبيّات الصّمَّاء.

في مقدِّمة كتابه (فلسفة المبدأ والمعاد) يعود الشّيخ مغنيّة ليُذكِّر بما كان قد بَيَّنه في مجمل أعماله: من أنّ الفلسفة إنّما تقوم على البديهيّات. بها يُبرهَن على صحّة النظريّات، وبها تُعالَج مشاكل الوجود. وفي ردِّه على مُنكريها سيلاحظ أنَّ الذين شكَّكوا في حُكْم العقل، وأسقطوه عن الدَّلالة والإعتبار هم أنفسهم مَن استعملوا منهج الفلسفة ومنطقها، ونقدوا العقل بالعقل. فَمَثَلُ هؤلاء كَمَثَل مَن قيل فيهم: «مَنْ أَنكَر الفلسفة فقد تَفَلْسَف».

الهندسة المَعرفيّة للفكر الدّيني

مزيَّة الشّيخ مغنيّة أنّه أدخل الفلسفة في مجال الإستعمال. راح يرى إليها بعين المُتبصِّر. ثمَّ ليَكتب فيها. ثمَّ لتكون له مسلكاً في التَّعقُّل والتَّدبُّر والنَّظر والعمل. ولذا لم تكن الفلسفة بالنّسبة إليه كتلة من المفاهيم تمكث بصمتٍ في مقام التَّجرُّد. لقد أمسك بناصية الفلسفة الأولى، ثمَّ، انبرى يُنزلها من عليائها، لكي تَسري،

وتَتوالد، وتَنمو في حقول الحياة الخضراء. فما جدوى الفلسفة لو ظلَّت صامتة في أبراجها. لقد فعل ما فَعَلتْه الحداثة الفلسفيّة لكن على نهج ما أوتي من عِلم الكتاب الإلهي. كأنْ تتحوَّل المفاهيم السَّاكِنة في سماء الأذهان إلى حركة تملأ الزَّمان والمكان. حيث تَستحيل آيات الكتاب وعلوم الشَّريعة حضوراً حيّاً في أدقِّ مفاعيل النَّشاط البشري. لقد أراد أن تكون الفكرة الفلسفيّة حركةً، ولقاءً، واجتماعاً، وصانعة حَدَث، وأن تكون تالياً فكرةً فاعلةً في التَّاريخ.

ها هنا على وجه التَّعيُّن نصل إلى موقعيّة الفلسفة في فكره. حيث تَستحيل في مَسْعاه إلى هندسة معرفيّة للفِكر الدِّيني بأصوله وفروعه ومراتبه المتعدِّدة. بل يمكن القول، إنَّ غايته من الفلسفة هي تأييد العقيدة بعناصر إضافيّة من أنوار العقل.

لقد استطاع العلّامة مغنيّة أن يرتفع بالبحث الفقهي الكلامي إلى التَّجريد الفلسفي، ثمّ ليَعود به كَرَّة ثانية إلى الواقع التّفصيلي الضَّاجّ بالحياة. لم يكن الرَّجل «فيلسوف دين»، كَمَن يدخل أرض الدِّين من باب الفلسفة، وقصدُه في ذلك أن يَدرس العقيدة وفقاً للمقولات الفلسفيّة أنطولوجياً ومعرفيّاً وتاريخيّاً. كما لم يكن فيلسوفاً دينيّاً، شأن مَن يَعمل بمقدِّمات فلسفيّة من خارج الدِّين، ويصل إلى الدِّين من دون أن يقصد بالضَّرورة إثبات العقائد الدينيّة.

مَنْ كان إذاً، وأيّ مطرح معرفيّ، حلّ فيه العلّامة مغنيّة ليُصاحب الفلسفة؟

غالب الظَّنّ، أنَّه كَرَجل دين لم يَكن ليَستسهل الأمر. والّذين سبقوه إلى مثل هذه المخاطرة كانوا على حَذَرٍ مُقيم. ولذا سَيَلوذ بالسُّؤال والرَّجاء في الآنِ عينه، كما لاذ بعض السَّلَف من الحُكَماء. لكأنَّنا به وهو يجد نفسه داخل ثنائيّة الدِّين والفلسفة يخوض اللُّجّة ليَعثر على جغرافيّة اللّقاء الحميم بين الضَّفتَيْن.

ولقد كان عليه أن يَتساءل:

ما فلسفة الدِّين.. هل هي تلك التي تَرى إلى الدِّين بعين الفلسفة لِتُعَقْلِنَهُ؟

حسناً .. لِنَمْضِ وإيّاه قليلاً إلى مسرح التّعرُّف:

كَكُلِّ المفاهيم المُعاصِرة، يَشوب الغُموض، والإضطراب، وتعدُّد التَّعريفات، مُصطلح فلسفة الدِّين.

ولسوف نقرأ أنَّ بعضَهُم ذَهب إلى تقريب المُصطلح من عِلم الكلام الجديد، كَوْنه يعمل على قضايا مشتركة مع ذلك العِلم، تماماً مثلما ذهب اللّاهوت المسيحي للأسباب نفسها. مع هذا، لا يزال النّقاش في هذا الحقل مُحتدِماً من دون التَّوصُّل إلى رؤية معرفيّة واضحة المعالم، في حين أنَّ معظم التَّعريفات التي نُقِلَت عن المشتغلين في هذا الحقل، ترتبط بعضها ببعض ضمن سياق واحد ومتشابه.

لم يَكتفِ الشّيخ بالمقرَّر الحوزوي الذي امتلأ به وَفَاضَ، بل هو ذَهب في ما يتعدَّى كلمات الحوزة وأسفارها. مضى لِيَغترف المزيد ممّا أَشكَل على الإنسان من بُحور الحداثة الغربيّة ومُنجزاتها

تعريفات فلسفة الدّين

لِنَرَ أيضاً وأيضاً إلى ما يحتويه مسرح التّعريفات:

أوّلاً: فلسفة الدِّين عبارة عن استعمال الطُّرُق الفلسفيّة للإجابة عن الأسئلة المُتعلِّقة بالمواضيع الأساسيّة في الفِكر الدِّيني. مع الإشارة في الواقع إلى أنّ طريقة الفلسفة الأساسيّة هي خليط من الدِّراسات التّاريخيّة والتّحليلات المنطقيّة (Logical Analysis) والمفهوميّة (Conceptual) وعلم اللُّغة (Philology).

ثانياً: فلسفة الدِّين هي التّفكّر الفلسفي حول الدِّين. فتكون بهذا البيان جزءاً من الفلسفات المُضافة، وفرعاً من عِلم المعرفة (Epistemology) بالمعنى الأعمّ، ذلك لأنّها تتطلّع -بالإنطلاق من موضوعها أي إستقلاليّة الدِّين ومن الخارج- إلى البحث والتَّحقيق في الأمور والموضوعات الدِّينيّة.

ثالثاً: فلسفة الدِّين هي عِلم ثانوي، أو هي عِلم وسائطي، لأنَّها ليست جزءاً من المواضيع الدِّينيّة، بل هي كفلسفة الحقوق، بالنّسبة إلى الدِّراسات الحقوقيّة والمفاهيم والأدلّة القضائيّة.

رابعاً: ميدان فلسفة الدِّين هو الدِّراسات الدِّينيّة الفلسفيّة. أي التّفكير الفلسفي حول الدِّين، لا الدِّفاع الفلسفي عن المُعتقدات الدِّينيّة. وفي هذا الصَّدَد يُمكن القول إنَّ الإلتباس الحاصل بين فلسفة الدِّين ضمن مهمّتها الحياديّة، وبين عِلم الكلام أو عِلم اللّاهوت ضمن مهمّتهما الدّفاعيّة والتّبريريّة عن المُعتقدات، إنّما هو التباسٌ ناجِم عن تداخل وتشابك الأدوار، وطريقة الإستخدام. فقد رأى بعض الفلاسفة أنّ فلسفة الدِّين تَنطوي على سَعي لإيجاد تبرير وتَبيين عقليٍّ لأديانهم، وغيرهم اعتقد أنّ

في ذلك سعياً لتبرير وتوجيه إلحادهم، وكان عند قوم آخرين مجرَّد سعي لدراسة وبحث مساحة أخرى من العلاقة والتّجربة الإنسانيّة. وقال بعضهم من جانبٍ آخر، إنَّ فيلسوف الدِّين لا يلزم أن يكون شخصاً عقائديّاً، بل يُمكن أن يكون مُنكِراً لله، أو مؤمناً، أو لا أدريّاً. وعلى أيِّ حال، فإنَّ فيلسوف الدِّين ليس بالضَّرورة أن يكون ملتزماً بدِينٍ مُعيَّن حتّى يمارس مهمّته الفلسفيّة. ذلك أنّ كلمة الدِّين في فلسفة الدِّين هي كلمة مُطلقة، وغير مقيّدة بأحد الأديان دون سواه، أي إنّها غير مقيّدة لا بالإسلام ولا بالمسيحيّة ولا باليهوديّة ولا بِسِوى ذلك من الأديان.

خامساً: فلسفة الدِّين، هي إحدى شُعَب الفلسفة المُضافة، مثل: فلسفة العلم، فلسفة الجمال، الفلسفة السياسيّة، فلسفة اللّغة إلخ، وهي كلّها في مقابل الفلسفة الأولى. وهذا هو سبب احتوائها لأحد الأحكام الكلِّيّة الفلسفيّة أي تَحَرِّي الحقيقة، والبحث العقلاني الحرّ.

لكنّ الباحث في فلسفة الدِّين أوليفر ليمان (Oliver Leaman) له رأي آخر يُبيِّن فيه ميّزات فلسفة الدِّين عن سائر الفلسفات المُضافة. يقول: «إنَّ أحد الأشياء المُختلفة تماماً في ما يتعلّق بفلسفة الدِّين هو أنّ لديها إرتباطاً شديد الخصوصيّة بما هو شخصي. وقد اتَّخذ الكثير من المُفكِّرين موقفاً خاصّاً من الدِّين ربّما بالإيجاب أو بالسَّلب. وربما هم يَرَون أنّ فلسفة الدِّين تكتسب لديهم أهميّة أكثر من مُجرَّد الأهمّيّة النَّظريّة. ومع ذلك من الممكن أن يكون إهتمام المؤمن المُتديِّن، بفلسفة الدِّين، أكثر من مجرَّد الإهتمام الأكاديمي، ربّما لِيُعَبِّر عن مبادئ، أو أساسيّات دينيّة بطريقة عقلانيّة، أو حتّى ليؤسِّس له ويُبرهن على صحّته. وبِحسب هذه الرُّؤية فإنَّ الكثيرين من المؤمنين يرغبون في انتهاج هذا النَّحو من الإهتمام. غير أنّه سيكون من المُستغرَب لدى كثيرين ممَّن أخذوا بهذا الطريق، أنّهم لا يُطبِّقون هذا المنهج على منظومة الإعتقاد الخاصّة بهم».

وأيّاً يَكن الوضع، فإنَّ من الدَّوافع التي تقود العاملين في فضاء فلسفة الأخلاق مثلاً، هو في الأغلب الأعمّ، الرّغبة في إرساء الأُسُس المنطقيّة لمعتقداتهم الأخلاقيّة الشّخصيّة. ذلك أنّ أبرز الفروق بين فلسفة الدِّين والأقسام الأخرى من الفلسفة، هو أنّ الأولى ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالمواقف الشّخصيّة للفلاسفة أنفسهم.

العلّامة الشّيخ محمّد جواد مغنيّة هنا، لا يغادر هذه الدّائرة بالذّات، فمسعاه على الجملة يَؤول إلى عقلَنَة التّفكير الدِّيني من خلال الممارسة الفلسفيّة.

لقد تخيَّر العلّامة مغنيّة منطقة وُسطى من الإشتغال بالفلسفة: دَرَس الدِّين فلسفيّاً على أرض الإيمان الدِّيني. وبمعنى أكثر وضوحاً: لقد استحضر الفلسفة كَتِقنيّة عقليّة فائقة القدرة على توليد المفاهيم، لتؤدِّي مهمّاتها في خدمة العقيدة. وهو حين ذَهب إلى توصيف مهمّته المعرفيّة بأنّها «فلسفة العقيدة»، فقد كان كَمَن يُمَوْضِع الفلسفة بصفة كوْنها الخريطة الاستراتيجيّة لِفَهم المنظومة الدّينيّة.

مزيَّة الشّيخ مغنيّة أنّه أدخل الفلسفة في مجال الإستعمال. راح يرى إليها بعين المُتَبصِّر. ثمَّ لِيَكتب فيها. ثمَّ لتكون له مسلكاً في التَّعقُّل والتَّدبُّر والنَّظر والعمل.

لعلَّ ظهور عِلم أصول الدِّين في مرحلة متأخِّرة من تطوُّرات الفِكر الإسلامي ربّما يَقترب إلى حدٍّ بعيدٍ مِمّا قَصَدَه العلّامة مغنيّة من «فلسفة العقيدة». من هذا النَّحو، أيقن العلّامة مغنيّة بجدوى الفلسفة في تمكين العقل الدِّيني من إدراك حقائق النّصّ وطبقاته المعرفيّة المُتعدِّدة الأفهام، وبالتّالي في تمكينه عن طريق الفلسفة، من إحراز تحوّلات التّجديد والإحياء في الفِكر الدِّيني المعاصِر.

ولسوف نراه يُصرِّح أنَّه سَيَطأ أرض الفلسفة الإلهيّة على أتمِّ أطوارها في حقبة متأخِّرة من عمره العلمي. ففي مدينة «قم المقدَّسة» سينفتح له فضاء معرفي غير مألوف في أوساط المدرسة الفقهيّة الشّيعيّة الكلاسيكيّة. عَنَيْتُ به فضاء الفلسفة الصدرائيّة لصاحب الحكمة المُتعالية محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بصدر المتألِّهين. فهو يَعترف بأنَّ جُلَّ كُتُبه الفلسفيّة ما كانت لِتظهر لولا أن أُتيح له الإطِّلاع على آثار هذا الفيلسوف العظيم.

مع هذا الإدراك، أَنجز العلّامة مغنيّة الشَّطر الأخير من المُصالحة بين الفلسفة والفقه، لتكون فضيلة الأولى القيام بمهمّة تسديد الفقه وعَقْلنته.

مؤدّى المصالحة بين الفقه والفلسفة

إنَّ مؤدَّى هذه المصالحة سوف يَظهر عبر سلسلة من التَّطوُّرات في الفكر التَّجديدي لدى العلّامة مغنيّة. فمثلما شكَّلَت الفلسفة لديه الباب المفتوح على تكامُليّة الفِكر الدِّيني، كذلك كان تأويل النَّصّ. فَسَنرى كيف أنَّ موقفه من التَّأويل يتوضَّح في بعض

أعماله الكلاميّة من خلال إجراء التّحليل المُقارِن بين الفريقَين التأسيسيَّيْن في عِلم الكلام الإسلامي: الأشاعرة والمعتزلة. فهو يَميل إلى الأخذ بنظريّة أهل الإعتزال دون نظرائهم، ودليله إلى هذا القاعدة التي تقول: إذا تعارض ظاهر النّصّ مع العقل وَجَبَ تأويله بما يتّفق مع منطق العقل. فذلك ما يَتّفق برأيه مع قول الإماميّة بأنّ الشّرع والعقل لا يَتصادمان بِحال، ولا يَفترقان، لأنّ العقلَ شرعٌ من الدّاخل والشّرعَ عقلٌ من الخارج. وأمّا العقلُ فإنّه يَهتدي بالشّرع، والشّرع يُعرَف بالعقل. فهُما أبداً ودائماً مُتحالفان مُتآزِران، كلٌّ منهما يَحكم بما يَحكم به الآخر.

عند هذه المحطّة المعرفيّة سوف يَستحيل التّأويل عنده ضرورة لِفهم الدِّين. وحجّته: إنّ ما يَستغلق من الشّريعة على الفهم يَتولّاه العقل بالتّفسير والجرح والتّعديل، وصولاً إلى التّأويل، حتى تُرى حقيقتُه.

فلو قرأنا ما يَستهلّ به العلّامة مغنيّة جُلَّ ما أَصدرَه، لَوَقعنا عنده على شغفٍ حميمٍ بتكثير طبقات التّعرُّف على النُّصوص والأفكار. إذ المعرفة على ما يَرى، تَنطلق من مَنظور قرآني وفلسفي قوامه بَسْط النَّفس والعقل على فضيلة الإختلاف. فالمُفكِّر الإسلامي برأيه لا يفلح بأمره إلّا إذا أَحرز ثلاثة شروط:

- أن يكون على عِلم بحقيقة الإسلام.
- أن يكون على عِلم بالتيّارات والمذاهب الحديثة ومدى سلطانها وتأثيرها.
- أن يكون عالِماً بعُيوب المجتمع الإسلامي كالتَّعصُّب، والإيمان بالبِدَع، واللّامبالاة.

لقد عرف الشّيخ مغنيّة أنّ حضور الإسلام في الزّمان، وعلى الخصوص في أزمنة الحداثة التي عاشها بامتلاء، لا يكون إلّا ضمن جدليّة الإحتدام والإختلاف والتّعرُّف. وعنده، إنّ المُتعصِّب، وحده، مَن يَرفض الإنصات لكلام الغير. فلو تكلّم المُغلَق على نفسه فلن يسمع إلّا أصداء كلماته ترتدُّ إليه صافية من أيِّ شائبة. حتّى ليَأخذْه العُجبُ بما أنشأ من كلمات، ثمّ لِيتوهَّمُ أنّه أدرك الحقيقة.

لقد تعامل «الفقيه/ الفيلسوف» مع مواقع الإختلاف سواء بين مذاهب المسلمين أم بين الأديان والتّيّارات الفكريّة والفلسفيّة والعلمانيّة، وفق مبدأ التّعرُّف قبل الدُّخول معها في ميادين المجادلة.

لقد تعامل «الفقيه/ الفيلسوف» مع مواقع الإختلاف سواء بين مذاهب المسلمين أم بين الأديان والتّيّارات الفكريّة والفلسفيّة والعلمانيّة، وفق مبدأ التّعرُّف قبل الدُّخول معها في ميادين المجادلة. كأنّما استعاد مقالة ابن الهيثم: «إنّ من الواجب على النّاظر في كُتُب العلوم إذا كان غرضُهُ معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصماً لكلّ ما يَنظر فيه، ويُجيل فكرَه في مَتْنه، وفي جميع حواشيه، ويَخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتّهم نفسه أيضاً عند خصامه».

أَيْسَرُ ثوابِ المؤمن

أَيْسَرُ ثواب الله للمؤمن خيرٌ له من الدنيا التي يُقبل الجاهلون بأنفسهم عليها (يقتل الجاهلون أنفسهم عليها)، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

أمير المؤمنين عليه السلام

فقه التَّعايش

الذِّمّة والمُواطنة كمفهوم واحد

روح الله شريعتي*

يختلف مفهوم «الذمَّة» بعض الشّيء عن معنى المُواطَنة المُعاصر، ولكن يُمكن اعتبار أنّ «المُواطَنة» هو الإصطلاح الحديث لمفهوم «الذّمّة».

ما يلي، قراءة في العلاقة بين المصطلحَين، وفي طوائف أهل الذمّة الذين يضعون أنفسهم تحت تصرّف الحكومة الإسلاميّة، كما يراها الباحث الإيراني روح الله شريعتي.

لقد ساهم تبدُّل الجغرافية السّياسيّة الحاكمة في القرون الماضية في أن يَجتمع أصحاب المذهب الواحد ويُكوِّنوا سُلطة لهم في منطقة محدّدة. ومن البديهي أنْ يَعتبروا غير أهل مِلّتهم أجانب، فكانت تُعقَد اتفاقيّة مع حاكِم أو كبير تلك المنطقة لِغَرض الدُّخول والسَّكن في منطقته لكي يَضمن الفرد الإطمئنان والأمان في جوارهم.

ولمّا لم يكن هناك قانون مُدوَّن يَحكم البلد، كان علماء الدِّين هم الملجأ لِحلّ الإختلافات المتعدّدة، ذلك أنّهم وحدهم العارفون بقوانين دِين الأكثريّة. وتَجدر الإشارة الى أنّ الوافدين يُقيمون في البلد المذكور على نحوَيْن: إمّا إقامة مؤقّتة، أو إقامة دائمة.

فإن كانت الإقامة الدَّائمة تُؤدّي إلى مخالفة عمليّة مع دين أو عُرْف تلك المنطقة، فلا يُمكنُ ضمانُ أمْنه. ولذا كان الإتّفاق بشرط الإلتزام بأحكام دِين الأكثريّة لكي لا يُخلّ وجودُه بنظام ذلك المجتمع، وكانوا يُسمّون هذا الإتّفاق (اتّفاق الذّمّة)، فيما سموّا اتّفاق الوجود المؤقّت بـ (الأمان) أو (العهد).

اليوم، وبعدما طَرَأت تغيُّرات على الجغرافية السّياسيّة، فإنّ حدود البلدان لا تُعيَّن على أساس عقيدة خاصّة، فبِتْنا نَجِد أتباع أديان مختلفة مُتوطِّنين معاً في بلد واحد، ولذا فإنّ إصطلاح (أجنبي) يُطلق على مَن يأتي من خارج حدود ذلك البلد وإنْ كان تابعاً لِدين الأكثريّة فيه، وهذا الشّخص يُمكنه الإقامة الدّائمة (التَّوطُّن) في ذلك البلد إذا التزم بجميع قوانينه، سواء القوانين المتعلِّقة بدِين الأكثريّة، أم القوانين المُقرَّرة على أساس الأوضاع السياسيّة، والإجتماعيّة، والإقتصاديّة.

وتَشمل المواطَنة في عصرنا معنى ومفهوم الذّمّة أيضاً، لكن مع عموميّة أكثر، بحيث تَضمّ جميع المواطنين الأصليّين أو المتوطِّنين بِعَقْد. وبعبارة أخرى، يُمكن اعتبار النّسبة بين إصطلاح المواطنة والذِّمّة هي ليس العموم والخصوص المطلَق، لأنّ جميع أهل الذِّمّة (مواطنون)، ولكن ليس جميع المواطنين (أهل ذمّة) بالإصطلاح الفقهي؛ وذلك لأنّ غير المسلمين المُتوطِّنين في البلد الإسلامي هم مواطنون، ولكنّهم أهل ذمّة بالإصطلاح الفقهي. إذن، على الرّغم من وجود بعض الإختلاف بين هذين الإصطلاحَين، فلا نُجانب الصَّواب إذا سمّينا معاهدة (الذِّمّة) مواطَنة بنحوٍ ما.

طوائف أهل الذمّة (المواطنون)

كما تقدّم، فإنَّ أهل الذّمّة هم الذين توطّنوا في البلد الإسلامي، ووَضعوا أنفسهم وأموالهم تحت ظلّ الحكومة الإسلاميّة، وأصبحوا بِطُرقٍ مختلفةٍ من مُواطني هذا البلد. ويُمكن تقسيم هؤلاء إلى ثلاثة أصناف على أساس كيفيّة اكتساب الجنسيّة (المواطنة):

١- **المواطنون**: وهُم غير المسلمين الذين كانوا يَسكنون في البلد الإسلامي من الماضي البعيد، وبعدما دَخل الإسلام، بَقُوا على دينهم وتعهّدوا بالإلتزام بمقرّرات الذِّمّة بدفع الجِزية الى الحكومة الإسلاميّة.

٢- **المُستأمِنون**: وهم الأفـراد الذين كانوا في حربٍ مع البلد الإسلامي، ودَخَلوه بأمانٍ مِن أحد المُسلمين أو الحاكِم الإسلامي، وعَقَدوا ميثاق الذِّمّة أو التّجنيس الذي يعني التّمتُّع بِحُقوق المواطَنة أيضاً.

٣- **المعاهدون**: وهُم غير المسلمين الذين يُعَدّون من مواطني البلد الإسلامي، والذين دَخلوه من بلدانٍ أُخرى غير مُحاربة (سواء المُعاهِدة أم المُحايِدة) بِعَقد ميثاق الذِّمّة أو التَّجنيس بإذْنِ الحاكِم الإسلامي وتشخيصه للمصلحة.

*باحث من إيران.

رئيس المحدّثين، ودعوةُ صاحب الأمر

الشيخ الصَّدوق أبو جعفر بن بابويه

إعداد: أكرم زيدان

رئيس المحدّثين على الإطلاق، فقيه الإماميّة ووجهُهم، شيخ مشايخ الإسلام والحجّة على الخاصّ والعام، المولود بدعوة صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف، المخصوص بخَفِيّ رعايته وألطافه، الشيخ الفقيه المحدِّث، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، الملقب في ألسنة الفقهاء بالصَّدوق الذي يتصاغر أمامه أعاظم العلماء كما وصفه الإمام الخميني قدّس سرّهما.

صورة حديثة لمدينة قمّ المقدّسة

أسرة آل بابويه، من أبرز الأُسَر التي كان يُشار إليها بالبنان في حاضرة العلم بمدينة قُم، بل في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري. نبغ من هذه الأسرة ثلّة من أئمّة العلم وجهابذته، وحمَلة الفقه وسَدَنته، على رأسهم الفقيه الجليل والمحدّث النبيل، الشيخ أبو الحسن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه، وولداه أبو جعفر (المترجَم له) والحسين الذي ولد أيضاً بدعاء الإمام الحجة عجّل الله فرجه، ويُعتبر من أكابر الفقهاء والصلحاء.

مولده ونشأته

وُلد الشيخ الصدوق في بداية تولّي الحسين بن روح النَّوبختي السفير الثالث للإمام المهدي عجل الله فرجه نيابته الخاصّة بمدينة قُم في حوالى سنة ٣٠٦ للهجرة، وكان ذلك بدعاء الإمام عليه السلام، وكان الشيخ الصدوق يفتخر بذلك ويقول: «أنا وُلدت بدعوة صاحب الأمر عجل الله فرجه». ويروي هو عن محمّد بن عليّ الأسود أنّه قال: «سألني عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه(والد الشيخ الصدوق) رضي الله عنه بعد موت محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه [السفير الثاني في زمن الغيبة الصغرى]، أن أسأل أبا القاسم الرّوحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه أن يدعو الله عزّ وجلّ أن يرزقه ولداً ذكراً. قال: فسألتُه فأُنهي ذلك، فأخبرني بعد ذلك بثلاثة أيّام أنّه قد دعا لعليّ بن الحسين، وأنّه سيولد له ولدٌ مبارك ينفع الله به».

وذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب (الغَيبة) عن عدّة من مشايخ أهل قم، أنّ عليّ بن الحسين بن بابويه كان متزوّجاً بنت عمّه محمد بن موسى بن بابويه فلم يُرزق منها ولداً، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم رضي الله عنه [السفير الثالث] أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولاداً فقهاء. فجاء الجواب: «**إنّك لا ترزق من هذه، وستملك جارية ديلميّة وترزق منها ولدين فقيهين**».

وتربّى أبو جعفر تحت رعاية والده العابد العالم، الذي كان يرفع له في كلّ يوم من العلم والتقى عَلماً، كيف وهو أمنيّته التي طالما دعا الله تعالى أن يحقّقها فكان كما أراد ورجا، وتوسّم فيه الخير والنفع كما جاء في التوقيع الشريف. فحرص على تربيته وتغذيته من علومه وكمالاته الروحية، و أفاض على نفسه من صفائه، وأغدق عليه من فيض علومه، فصقل روحه وعقله وصهر معدنه وجوهره حتى صار مثالاً له بعد ملازمة بينهما فاقت العشرين عاماً.

أقوال العلماء بحقّه

لقد أسهب علماء الرجال وأساطين الفقهاء منذ عصر الشيخ الصدوق رحمه الله حتى يومنا هذا، بالثناء عليه بكلام مفعم بالإجلال والإشادة بما يدلّ على جلالة قدره وعظمة شأنه لديهم، وهنا شذرات ممّا قيل بحقه:

* الشيخ الطوسي في كتاب (رجال الطوسي): «جليل القدر حَفْظة، بصير بالفقه والأخبار والرجال». وقال في كتاب (الفهرست): «جليل القدر، يُكنّى أبا جعفر، كان جليلاً حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، ولم يُرَ في القُمّيّين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنّف، وفهرست كتبه معروف».

* الشيخ النجاشي في (تاريخ النجاشي): «أبو جعفر نزيل الريّ، شيخنا وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدَث السن، وله كتب كثيرة».

* الذهبي في (سِير أعلام النبلاء): «رأس الإماميّة، أبو جعفر محمّد بن العلّامة عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة، يُضرب بحفظه المثل. يقال: له ثلاثمائة مصنف».

* الشيخ ابن إدريس الحلّي في (السرائر): «كان ثقةً جليل القدر، بصيراً بالأخبار، ناقداً للآثار، عالماً بالرجال، وهو أستاذ شيخنا المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان».

* العلّامة المجلسي بعد أن أورد كلاماً للصدوق: «وإنّما أوردناه لكونه من عظماء القدماء، التابعين لآثار الأئمّة النجباء عليهم السلام، الذين لا يتّبعون الآراء والأهواء، ولذا يُنزل أكثر أصحابنا كلامه وكلام أبيه رضي الله عنهما منزلة النصّ المنقول والخبر المأثور».

عصره

كان للدولة البويهيّة الضاربة بملكها على مركز الخلافة ببغداد وأكثر بلاد إيران وغيرها من بلاد العالم الاسلامي، الدور الفاعل والبليغ في تشجيع الحركة العلميّة وتطويرها، من خلال اتصال حكّامها وأمرائها بالعلماء وإكرامهم وعقد المناظرات العلمية في مجالسهم. ولمّا نزل الشيخ الصدوق رحمه الله الرّي أكرمه ركن الدولة بن بويه وأدناه، وعقد له مجلس المناظرة في دار إمارته بمحضر ومشاركة منه، وقد استثمر الشيخ الصدوق فرصه استتباب الأمن واستقرار الوضع آنذاك وقربه ومكانته من الأمراء البويهيّين، لخدمة المذهب وإعلاء كلمته من خلال مباحثاته وسجالاته مع مخالفيه في الاعتقاد، ومن خلال ما أنجز من مصنّفات ضخمة وتراث عملاق، خاصة أثره الخالد (من لا يحضره الفقيه) –وهو أحد الكتب الأربعة– وكتابه العظيم (مدينه العلم) الذي ضنّ الزمان به على الباحثين وغيّبته يدُ الأحداث.

مشايخه

من الأبعاد الواضحة في حياة الشيخ الصدوق قدس سره كثرة مشايخه، ومن لَقِيهم وتحمّل العلم والحديث عنهم. وتأتي هذه الكثرة الكاثرة من محدّثيه نتيجة طبيعية لوفرة أسفاره وتطوافه بين البلاد الاسلامية وحواضر العلم، كخراسان، والرّي، وبخارى، ونيسابور، وبغداد، والكوفة، والحجاز، وغيرها من البلاد التي كانت تزدحم أروقة العلم فيها بطلّاب الفضيلة، وأئمّة العلم الذين تُشدّ إليهم الرحال من كلّ مكان.

وقد ذكر المحدّث النوري في معجم أساتذة الصدوق ١٩٨ شيخاً، وزاد على هذا العدد المحقّق الشيخ عبد الرحيم الربّاني في مقدّمته على كتاب (معاني الأخبار) جماعة أخرى استخرجها من أسانيد كتبه المطبوعة، فبلغ مجموع أساتذته ٢٥٢ محدّثاً. ونظراً لضيق المجال عن إيراد فهرس أسماء أساتذته ومشايخه نقتصر على ذكر أبرزهم، وهم:

١- والده الفقيه الأجلّ عليّ بن الحسين بن بابويه القمي.

٢- الشيخ الثقة الثّبت محمّد بن الحسن بن الوليد.

٣- الشيخ محمّد بن علي ماجيلويه.

٤- الشيخ الأجل محمّد بن موسى بن المتوكّل.

٥- الشيخ أحمد بن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق.

٦- الشيخ محمّد بن يحيى العطّار.

تلامذته والرواة عنه

وللسبب نفسه الذي جعل أساتذة الصَّدوق من الكثرة الكاثرة وهو أسفاره المتعدّدة، فإنّ عدداً كبيراً من طلّاب الحديث قد اختلفوا إليه، وسمعوا منه، ورووا عنه، وقد أوصل بعض الباحثين عددهم إلى الأربعين، نذكر منهم:

١ - أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد.

٢ - الشريف أبو محمّد الحسن بن أحمد العلوي المحمّدي النقيب.

٣ - الحسن بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، وهو ابن أخ الصَّدوق.

٤ – عبد الصمد بن محمّد التميمي النيسابوري.

٥ – أبو الحسن عليّ بن أحمد بن العبّاس بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمّد بن عبد الله النجاشي.

٦ – أبو القاسم السيد المرتضى علَمُ الهدى، عليّ بن الحسين بن موسى.

٧ – أبو الحسن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان القمّي.

٨ – الشريف أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن إسحاق بن الحسين، المعروف بـ (نعمة).

٩ – أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى التلعكبري.

١٠ – أبو العبّاس أحمد بن عليّ بن محمّد بن العبّاس بن نوح.

كتبه ومؤلفاته

بلغ عدد مصنّفات الشيخ الصدوق رحمه الله ما يناهز ثلاثمائة كتاب، ذكر ذلك الشيخ الطّوسي رحمه الله في (الفهرست) وسمّى ما يربو على الستّين منها. كما صرّح بهذا العدد ابن شهرآشوب وسمّى منها أكثر من سبعين. ومن مميّزات كتبه:

١ – التنوّع في المواضيع: فقد انبرى الصدوق رحمه الله إلى التصنيف في شتّى المجالات، كالفقه والحديث والتفسير والكلام وغير ذلك.

٢ – الإهتمام بما يحتاجه المجتمع: إذ أنّ الشيخ الصدوق قد أولى في مؤلّفاته فائق الاهتمام ما تحتاجه الأمّة، وملء الفراغات الثقافيّة والعلميّة والفقهيّة، والروائيّة، والكلاميّة، وإيجاد الحلول لما تواجهه من مشكلات، كما هو الحال في تأليفه لكتب: (كمال الدين)، و(التوحيد)، و(الإعتقادات)، و(الفقيه).

غلاف مخطوطة «من لا يحضره الفقيه» من القرن ١١ هجري

٣ – مراعاة الدقّة والأمانة في النقل: فقد تميّز رحمه الله بالدقّة والأمانة في جميع مصنّفاته، حتى أنّه يذكر تاريخ ومكان الرواية في بعض الموارد، وهذا الصدق في الكتابة والحديث، وأمانته في النقل أدّى إلى أن يشتهر رحمه الله بـ «الصدوق».

وكتبه المطبوعة هي:

١ – المُقنِع.
٢ – الهداية.
٣ – الأمالي.
٤ – الإعتقادات.
٥ – التوحيد.
٦ – ثواب الأعمال.
٧ – صفات الشيعة.
٨ – عِلل الشرائع.
٩ – عيون أخبار الرضا عليه السلام.
١٠ – فضائل الأشهر الثلاثة.
١١ – فضائل الشيعة.
١٢ – كمال الدين وتمام النعمة.
١٣ – مصادقة الإخوان (فارسي).
١٤ – معاني الأخبار.
١٥ – مَن لا يحضره الفقيه.
١٦ – الخصال.

نبوغه وبراعته

كان من الطبيعي أن تترك دعوة الإمام الحجّة عجل الله فرجه في حقّ الشيخ الصدوق آثاراً عظيمة في تكوين شخصيّته الفذّة ومؤهّلاتها العلمية، فظهرت أثار تلك الدعوة المباركة في عدّة مجالات من حياته، كان أهمّها حبّه الواسع للعلم، وحدّة ذكائه وبراعته، وقوّة حفظه لما يسمع، حتى عُرف عنه ذلك واشتهر بين القمّيّين. وينقل شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (الغَيبة) عن أبي عبد الله بن سورة أنّه كان يقول: «كلّما روى أبو جعفر -يعني به الصّدوق- وأبو عبد الله ابنا عليّ بن الحسين شيئاً، يتعجّب الناس من حفظهما ويقولون لهما: هذا الشأن خصوصية لكما بدعوة الإمام لكما، وهذا أمر مستفيض في أهل قم».

أنوار من سيرته

المتتبّع لحياة وسيرة الشيخ الصدوق رحمه الله يلمس في شخصيّته الخصائص التالية:

١ ـ الإحساس بالمسؤوليّة: تجسّد ذلك في أكثر من مجال من حياة هذا الإمام الفقيه، الذي كان يقدّر مواقع المسؤولية في جسم الأمّة، فيحاول أن يملأها بوجوده الشريف تارة، وبقلمه وبيانه أخرى، وبسجالاته ومناظراته تارة ثالثة.

ولعلّ في طليعة تلك المسؤوليّات التي وضعت نفسها بين يدي الصّدوق رحمه الله تستنهضه لحمل أعبائها، سفرَه إلى الري وإقامته فيها برغبة وطلب أهلها، الذين رغبوا في حضوره وأقامته، للإفاده من محضره على كثرة مَن في الرّي من المحدّثين والفقهاء وذوي الفضل.

٢ ـ الإخلاص: تجلّى عامل الإخلاص في أعمال الشيخ الصّدوق بشكل بارز وملموس من خلال ما سطّره من مؤلفات. وهذه بعض النماذج من كلماته التي استهلّ بها كتبه تكشف عن طرف من إخلاصه:

* قال في خطبة كتاب (الخصال) بعد أن ذكر العلّة من تصنيف

مقام الشيخ الصدوق في ضاحية طهران «شهر ريّ»

الكتاب: «فتقرّبت إلى اللّه جلّ اسمه بتصنيف هذا الكتاب، طالباً لثوابه، وراغباً في الفوز برحمته، وأرجو أن لا يخيّبني فيما أمّلته ورجوته منه بتطوّله ومنّه، إنّه على كلّ شيء قدير».

* وقال في كتاب (ثواب الأعمال): «إنّ الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا، ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: **الدالّ على الخير كفاعله**، وسمّيته كتاب (ثواب الأعمال)، وأرجو أن لا يحرمني اللّه ثواب ذلك، فما أردتُ من تصنيفه إلّا الرغبة في ثواب اللّه وابتغاء مرضاته سبحانه، ولا أردتُ بما تكلّفته غير ذلك، ولا حول ولا قوه إلّا باللّه، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

* وفي كتاب (التوحيد) بعد التنبيه على الداعي لتأليف الكتاب قال: «فتقرّبت إلى اللّه تعالى ذكرُه بتصنيف هذا الكتاب في التوحيد ونفي التشبيه، مستعيناً به ومتوكّلاً عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل».

٣- حبّ العلم: كان الشيخ الصدوق دؤوباً في طلب العلم منذ صباه وهو يعيش تحت رعاية أبيه، حريصاً على تحصيله وضبطه، منصرفاً عمّا سواه، وقد هيّأه انقطاعه للعلم للحضور عند أكابر العلماء والمحدّثين في قم، ثم رشّحه نبوغه للتصدي لكرسي الحديث، فسمع منه شيوخ الطائفة وهو في حداثة سنه وباكورة عمره.

ولم يوقفه شغفه بالعلم للاكتفاء بما في حاضرته العلمية بقم، بل جنح به لتحمّل وعثاء السفر ومكابدة الغربة، والابتعاد عن الأهل والوطن، لا يثني عزمه بُعد الشقّة ولا يفتّ في إرادته ألم الغربة أو شيخوخة السن.

٤ ـ التواضع: من السِّمات البارزة في سيرة الشيخ الصّدوق تواضعه في طلب العلم، مع ما كان عليه أمرُه من الجلالة والفضل، والمكانة العلميّة الرفيعة، إلّا أنّ ذلك لم يكن يصدّه عن الأخذ والإفاده من الآخرين، وهذا ما يتكفّل بإثباته أسفاره التي دامت حتّى أخريات حياته، يبادل السماع فيها أرباب الحديث وهو رئيس الإماميّة وصاحب التصانيف القيّمة الغزيرة، حتى أنّه لمّا ورد سرخس و أيلاق سنة ٣٦٨، وكان ذلك في أواخر حياته حيث توفي ٣٨١، سمع فيهما من أبي نصر محمّد بن أحمد السرخسي الفقيه، وأبي الحسن محمّد بن عمرو بن عليّ بن عبد اللّه البصري، وأبي نصر محمّد بن الحسن بن إبراهيم الكرخي الكاتب، وأبي محمّد بن بكر بن عليّ بن فضل الحنفي وغيرهم، مع أنّه كان معه مِن كتبه في تلك السفرة مائتان وخمسة وأربعون كتاباً نسخها الشريف أبو عبد اللّه المعروف بـ«نعمة» بأجمعها عند وروده على الشيخ الصّدوق بقصبة أيلاقس، كما نصّ عليه الصّدوق نفسه في خطبة (من لا يحضره الفقيه).

وفاته ومدفنه

توفّي الشيخ الصدوق رحمه الله في بلدة الرّي سنة ٣٨١ هجريّة، وقد بلغ عمره الشريف نيّف وسبعين سنة، ودفن بالقرب من قبر السيّد عبد العظيم الحسني رضوان الله عليه بالرّي في بستان طغرليه في بقعة شريفة وعليها قبة عالية، يزوره الناس ويتبرّكون به، وقد جدّد عمارة المرقد الشريف السلطان فتح علي شاه قاجار سنة

ضريح الشيخ الصدوق

١٢٣٧ هجريّة، وذلك بعدما شاع من حصول كرامات عديدة من مرقده بعد وفاته.

قال العلّامة المامقاني (ت ١٣٥١) في (تنقيح المقال) بذيل ترجمة الصدوق: «وممّا يشهد بجلالته مضافاً إلى ما مرّ، ما رُوي لي بسند صحيح قبل أربعين سنة، عن العدل الثقة الأمين السيّد إبراهيم اللواساني الطهراني قدس سره (ت ١٣٠٩) أنّ في أواخر المائة الثالثة بعد الألف هدم السيل قبره وبان جسده الشريف، وكان هو ممّن دخل القبر ورأى أنّ جسده الشريف صحيحٌ سالم لم يتغيّر أصلاً، وكأنّ روحه قد خرجت منه في ذلك الآن، وإنّ لون الحنّاء بلحيته المباركة وصفرة حناء تحت رِجليه موجودة وكفنُه بالٍ..».

من وصايا العلّامة المجلسي

الدُّعاء أقرب الطُرُق إلى الله تعالى

إعداد: علي حمُّود

هو الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي بن مقصود عليّ الشهير بالمجلسي (صاحب البحار). وُلِد سنة ١٠٣٧ للهجرة، وتوفّي في أصفهان سنة ١١١١، عن ٧٤ عاماً.

ما يلي، قبسات من وصاياه وتوجيهاته قدس سره لبعض إخوانه، كما وردت في رسالته (صراط النّجاة) -تُعرف أيضاً باسم (رسالة في الإعتقادات)- التي ذكرها الشيخ الطهراني في (الذريعة)، والمحقّق البحراني في (اللؤلؤة).

الذي يجب أوّلاً للسّالك إلى الله أن يصحّح نيّته، لأنّ مدار الأعمال في قبولها وكمالها على مراتب النيّات، ولا يتأتّى ذلك إلّا بالتوسّل التّام بجنابه تعالى، والإستعاذة من شرّ الشياطين وغلبة الأهواء، ثمّ يتفكّر في عِظم هذا المقصد الأقصى، ويتفكّر في أنّه بعد هذه النّشأة لا يتأتّى له الرّجوع إليها لتدارك ما قد فات منه، ويرجع في أثناء هذه التّفكّرات إلى ما ورد عن أئمّة الهدى في ذلك لا إلى كلام غيرهم، لأنّ لها لصدورها عن منابع الوحي والإلهام، تأثيراً غريباً ليس لكلام غيرهم وإن كان المضمون واحداً.

ولَنِعْمَ ما مُثّل الشّيطان بالكلب الذي يكون على أبواب النّاس ويؤذي من يَهمّ بدخول دار مالكه، ولا يمكن دفعه إلّا بأن ينهره المالك ويزجره، أو يعلم أنّ الدّاخل من أصدقاء صاحب البيت، فكذا هذا الكلب اللّعين موكل على باب الله تعالى لئلّا يدخله الأجانب ومن لا يليق لشقائه بالدخول فيه، فإذا نهره صاحب البيت جلّ شأنه بسبب استعاذة العبد به من شرّه، أو علم أنّه من مُقرَّبي هذه الحضرة ومن خواصّ الملك الملّاك، وكثيراً ما يدخل هذا الباب ويخرج منه وله أنس بصاحب البيت، لا يتعرّض له هذا الكلب.

فإذا توسّل السّالك بجنابه تعالى، وصحّح نيّته بقدر الجهد في بَدو الأمر؛ يطلب ما يعلم أنّه خير آخرته فيه، ولا يبالي بأنْ يعدّه أهل الزمان وجهلة الدّوران حشويّاً أو قشريّاً أو زاهداً أو ينسبونه إلى الجهل.

وإذا كان بهذه المنزلة يظهر له الحقّ عياناً، فينبغي بعد ذلك أن يبتغي معلّماً مستأنساً بكلام أهل البيت عليهم السلام وأخبارهم، معتقداً لها، لا مَن يؤوّل الأخبار بالآراء، بل يرى مَن صحّت عقائده في

الأخبار، ويشرع في طلب العلم ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته.

سراج السّالكين

ثمّ اعلم يا أخي أنّ لكلّ عبادة روحاً وجسداً وظاهراً وباطناً، فظاهرها وجسدها الحركات المخصوصة، وباطنها الأسرار المقصودة منها والثّمرات المترتّبة عليها، وروحها حضور القلب والإقبال عليها وطلب حصول ما هو المقصود منها، ولا تحصل تلك الثّمرات إلّا بذلك.

كالصلاة التي هي عمود الدِّين، جعلها الله أفضل الأعمال البدنيّة ورتّب عليها آثاراً عظيمة، قال الله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ..﴾ العنكبوت:٤٥.

أقرب طُرق الوصول

ثمّ إعلم أنّ أقرب الطُّرق إلى الله تعالى -كما هو ظاهر في كثير من الآيات والأخبار- هو طريق الدّعاء والمناجاة، لكن لهما شرائط من حضور القلب، والتّوسّل التّام، وقطع الرجاء عمّن سواه تعالى، والإعتماد الكامل عليه، والتّوجّه في صغير الأمور وكبيرها وقليلها وكثيرها إليه سبحانه.

والأدعية المأثورة على نوعين:

منها: الأوراد والأذكار الموظّفة والمقرّرة في كلّ يوم وليلة، المشتملة على تجديد العقائد وطلب المقاصد والأرزاق ودفع كيد الأعداء ونحو ذلك، فينبغي للمرء أن يجتهد في حضور القلب والتوجّه والتضرّع عند قراءتها، لكن يلزم أن لا يتركها إن لم يتيسّر ذلك.

والثاني، المناجاة: وهي الأدعية المشتملة على صنوف الكلام في التوبة والإستغاثة والإعتذار وإظهار الحبّ والتذلّل والإنكسار، وظنّي أنّه لا ينبغي أن يقرأ تلك إلّا مع البكاء والتضرّع والخشوع التّام، وينبغي أن يترصّد الأوقات لها، ولا يقرأ بدون ما ذُكِر فيشبه الإستهزاء والسّخرية.

وهذان القسمان من الدعاء ببركة أهل البيت عليهم السلام عندنا كثيرة لا تفي الفرصة بالإشتغال بعُشر أعشارها.

فأمّا القسم الأوّل: فأكثرها مذكورة في مصباحَيْ الشيخ الطُّوسي والكفعمي رحمهما الله، وكتابَيْ السّمات [هكذا، ولعلّه السعادات في العبادات] والإقبال لإبن طاوس رضوان الله عليه في ضمن التعقيبات وأدعية الأسبوع وأعمال السّنة وغيرها.

والقسم الثاني: أيضاً منثورة في عرض تلك الكُتب وغيرها كالأدعية الخمسة عشر والمناجاة المعروفة بالإنجيليّة [أللهمّ بذكرك أستفتح مقالي]، ودعاء كُميل النّخعي، وغيرها والصّحيفة الكاملة، جلّها بل كلّها في المقام الثاني.

وأفضل ما يُقرأ في التوسّل دعاءان في الصّحيفة لمكارم الأخلاق والإستعاذة من سيّئ الأخلاق وملازمة العبادات.

طريق إصلاح النفس

ثمّ اعلم يا أخي أنّ النّوافل اليوميّة وصلاة اللّيل مُتمّمة للفرائض، وهي من سُنَن النبيّ صلى الله عليه وآله، لم يتركها إلى أن مضى من الدّنيا فلا تتركها، وإن تركتها فاقضهما حيثما تيسّرت.

وعليك من الصّوم بالخميس الأوّل والآخر والأربعاء الأولى من العشر الأواسط، فإنّها أيضاً من سنّته صلى الله عليه وآله، وعليك في صلاة اللّيل بالدعوات والتضرّع والبكاء، فإنّ هذا الوقت من اللّيل محلّ قرب العبد من الرّب، وباب الدّعاء والرّحمة والمناجاة مفتوح، والقلب مجتمع والعمل فيه أقرب من الخلوص كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ المزمّل:٦، وعليك في ذلك الوقت بالدعاء لإخوانك المؤمنين تفصيلاً، فإنّه أقضى لحاجتك وأنت مثابٌ فيه بمثلَي ما طلبت لهم بل أضعافه.

وعليك في تعقيب صلاة الفجر بالدّعوات والأذكار المأثورة والمواظبة عليها، فإنّ تلك الساعة تقسّم الأرزاق. وعليك بعد ذلك في مَشْيِك وقيامك وقعودك بمداومة ذِكر «**لا إله إلّا الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر**» فإنّها أركان عرش العبادة والمعرفة، ثمّ الصّلاة على النّبيّ وآله، فإنّها من أفضل الأعمال، ثمّ مواظبة قدر وافٍ من هذه الأذكار الأربعة الواردة في القرآن والأخبار، وهي: «**ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله**» للرّزق وتيسير الأمور، و«**حسبنا الله ونِعمَ الوكيل**» لدفع الخوف من الأعادي والشّدائد، و«**لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين**» لدفع هموم الدُّنيا والآخرة وغمومها، و«**أُفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد**» لدفع كيد الأعداء، وأقلّ ما تواظب عليه من الأذكار كلّ يوم أن تصلّي على محمّدٍ وآل محمّدٍ كلّ يوم مائة مرّة، وفي يوم الجمعة وليلتها ألف مرّة، وأن تقول كلّ يوم ثلاثمائة وستّين مرّة عدد عروق الجسد: «**الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال**»، وإن قرأتَ ذلك عند كلّ صباح ومساء فهو أفضل.

وقل في كلّ يوم: «**أستغفر الله**» سبعين مرّة، و«**أتوب إلى الله**» سبعين مرّة، وأكثِر من الإستغفار فإنّه يكفّر الذنوب ويزيد في الرزق وفي الأولاد، واقرأ كلّاً من التّسبيحات الأربعة كلّ يوم مائة مرّة، وعقب كلّ صلاة مجموع التّسبيحات الأربع ثلاثين مرّة، وقُل كلّ يوم مائة مرّة «**لا إلهَ إلّا الله الملكُ الحقُّ المُبين**» وإن لم تقدر فثلاثين مرّة، وقُل في كلّ يوم مائة مرّة «**لا حَوْل ولا قوّة إلّا بالله**»، وقُل في كلّ يوم عشر مرّات «**أشهد أن لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً**»، وقل قبل طلوع الشمس وقبل غروبها عشر مرّات: «**لا إله إلّا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمد، يُحيي ويُميت ويُميت ويُحيي، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيءٍ قدير**»، وعشر مرّات: «**أعوذ بالله السميع العليم من هَمَزات الشياطين، وأعوذ بالله أن يحضرون، إنّ الله هو السميع العليم**»، فإنّه قد ورد في الأخبار أنّهما سنّتان واجبتان، إنْ نسيتهما في وقتيهما فاقضِهما. وقُل مائة مرّة بعد صلاة المغرب والغداة «**بسم الله الرّحمن الرّحيم لا حَوْل ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم**» وإن لم تقدر فسبع مرّات، فإنّها أمنٌ من سبعين نوعاً من البلاء.

وأكثِر من قراءة سورة (**قل هو الله أحد**) و(**إنّا أنزلناه في ليلة القدر**)، وإن قدرتَ أن تقرأ (**إنّا أنزلناه**) في كلّ يوم مائة مرّة فافعل، واقرأ (**آية الكرسي**) و(**شهِد الله**: آل عمران: ١٨-١٩) و(**قل اللّهمّ**: آل عمران: ٢٦-٢٧) وسورة **الحمد** و(**قل هو الله**) بعد كلّ صلاة.

اليهوديّة السياسيّة في تهافتها

محمود حيدر*

لا مناصّ لبنيامين نتنياهو من استعادة اللّاهوت اليهودي كلّما لاح له وهنٌ ما في الخطاب الإيديولوجي الدِّيني «لِدولة إسرائيل». ربّما وَصَلْنا اليوم، وبعد سلسلة هائلة من التَّحوُّلات، إلى المُنعطف الذي بات يَبعث الخوف لدى كلّ «إسرائيلي»، من خسران الهويّة الدِّينيّة للدَّولة.

والذين يُتابعون وقائع السِّجال الخافت حيناً والمُرتفع حيناً آخر بين النُّخَب الدِّينية والسِّياسيّة، يُدركون عُمْق الفجوة التي تَشقّ النَّفْس السّياسيّة «الإسرائيليّة»، جرّاء سوء استخدام اللّاشعور الدِّيني في إدامة وتغذية العَصَب الثّقافي للمشروع الصّهيوني المُعاصِر.

لكن ثمّة سؤالاً يُصاغ الآن على الوجه التّالي: أيّ مسافة مُمكنة تستطيع القيادات «الإسرائيليّة» الحاليّة أن تُنجزها، وهي تمضي في رحلة توظيف اليهوديّة الدِّينيّة لمغادرة مأزقها الاستراتيجي؟

جواب هذا السُّؤال يُحيلنا إلى منطقة معرفيّة أكثر عُمقاً، وهي معاينة الإشكال الأصلي الذي واجَهتْه المنظومة اليهوديّة، على امتداد قرونٍ مِن تاريخ الحداثة.

لقد أُخِذت اليهوديّة في الزَّمن السِّياسي، حتّى أَوْشكت ألّا يُنظر إليها كَدِين. ومَنْ يَقرأ المشهد التّاريخي لِسُلوكها، سَيَظهر له المدى الهائل لعمليّة توظيف الدِّين في السِّياسة. ولنا في التّجربة اليهوديّة التّاريخيّة ما يُشير إلى الإنفصال الحادّ بين الدِّيني والدُّنيوي، وبين المُتعالي والوَضعي، حتّى لقد بات الأمران أمراً واحداً لا يقبلان الفصل والتّمايز. ربّما كانت اليهوديّة في ذلك أكثر الدِّيانات استعداداً إلى التَّشيُّؤ، أي إلى تحويل الإيمان الغَيْبي إلى منظومة إيديولوجيّة، تُضفي على المَصالِح والأغراض الآنيّة مشروعيّة أخلاقيّة مُتعالية.

ولذا فهي حين حلَّت في قلب التّاريخ السِّياسي والإجتماعي، تراءى لنا كيف حُمِّل الدِّيني وِزْر الدُّنيوي. فبَدا سَبْيُ بابل، ورحلات التِّيه، واضطهادات الحداثة، كما لو كانت حاصل ذلك التّحويل الذي لا ينفكّ بعضه أبداً.

هل يعني هذا أن التراجيديا اليهوديّة كانت حتميّة، بسببٍ من الزَّمن الذي أخذها، أو الذي أُخِذَت فيه؟

ليست الصُّورة على هذا النَّحو، فثمّة في المشهد ما هو مُركَّب ومُعقَّد وضَبابي. لكن ينبغي مع كلّ هذا، أنْ نعثر على الفاصِل الطّفيف بين حقيقة اليهوديّة في أصلها الدِّيني، وتوظيفات هذه الحقيقة في حمَّى الإحتدامات الحضاريّة والنِّزاعات السياسيّة. فلو رأينا في شيء من التَّدبُّر إلى ذلك المشهد، لَتبيَّن لنا أنَّ السِّرّ كلّه كامنٌ في الإجراءات الثّقافيّة والإيديولوجيّة التي سُيِّلت اليهوديّة من خلالها كَدِيانة في لعبة التّاريخ.

ثمّ إنّنا لنَجِد حقائق وإضاءات أخرى أيضاً، منها ما يَظهر أساساً في التّساؤل عن الكيفيّة التي تحوّلت فيها المنافِع لدى اليهوديّة التّاريخية إلى عقائد، والسِّياسة إلى دِين، والمال إلى وَثَنٍ للعبادة. كأنَّ الأمر بالنّسبة إلى أَحْبار اليهوديّة الجارية في الزَّمن، جاء مقلوباً، حيث رُفع الدُّنيوي إلى مقام الدِّيني، وتَسامى الوَضعي على الغَيْبي، حتّى صار كلّ ما في «اللَّوح المحفوظ» عرْضَة للإستحالة والتَّبديد.

ولو كان لنا أن نستذكر ما قدّمه فلاسفة التّاريخ الغربيّون في هذا الشأن، لتبيَّن لنا بوضوح مقدار «الفضيحة المعرفيّة» التي ضَربت المنظومة الإجماليّة للّاهوت السِّياسي «الإسرائيلي».

حين رأى «ماركس» إلى إله اليهوديّة بوصفه إلهاً علمانيّاً، وإلى حضارتها أنّها حضارة سُوق، فإنّما كان يرمي من وراء ذلك إلى تصويب الرُّؤية، وكشف مقاصد التّحويل الذي أجراه التّلمود السِّياسي في الإيمان اليهوديّ الأوّل. كذلك كان الأمر بالنّسبة إلى فيلسوف الحداثة «إيمانويل كانط». إنَّ هذا الفيلسوف الجريء بعقله النَّقدي، سيُنكر على اليهودي روحانيّته، وسيَخلع عليه ماديّة تاريخيّة صافية. وسيَنظُر إلى ديانته كعقيدة سياسيّة قوميّة، لا شأن فيها للوَحْي البتّة. وحين وَصَف «كانط» المسيحانيّة الممزوجة باليهوديّة، على أنّها طموح إلى حياة أفضل لِشَعبٍ يعيش الشّتات والنَّفي، فقد أراد أنْ يَمضي بعيداً في استبيان مكامِن الخديعة.

كلّ هذا سيَشقّ مساره بقوّة لمّا حصل الإنفصال المُروّع بين اليهوديّة كَدِينٍ روحاني، وبين كَوْنها ذريعة للإستعمال التّاريخي في مجال السَّيطرة على الغير. فإذا كان للنّصّ التَّوراتي قابليّة التّأويل، فإنّ اليهوديّة السّياسيّة التي أنشأها الغرب على صورته، ستُطيح مصدرها الإلهي، ثمّ لتوظّفه في حمَّى الزّمان والمكان.

* رئيس «مركز دلتا» للأبحاث المعمّقة

حيث سيَكون للجغرافيا العربيّة الإسلاميّة سوء الطّالع في ولادة الفكرة الصّهيونيّة على أرض فلسطين. عند هذا الفصل التّاريخي الذي انتهى إلى الإستيلاء على فلسطين، سوف يَتَجلّى التّوظيف السّياسي لليهوديّة بأفظع صُوَره منذ أكثر من ستّين سنة.

والآن نعرف لماذا لم يكن أمام نتنياهو وسائر رفاقه من الجيل الصّهيوني المُتداعي، سوى رفع شِعار يهوديّة «إسرائيل». وسَنَعرف أيضاً السّبب الذي دَفع هؤلاء لِيَنأوا بأنفسهم عن الخطر الذي يُحيط بمشروعهم القَوْمي، مع انصرام العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين.

لقد ارتَكَبَت عصبيّة الغرب فظائعها [المُفتَرَضة] في حقّ اليهود، لكنّ الصّهيونيّة ستُفلِح في تحويل تلك الفظاعات [المُفتَرَضة] إلى ملحمة «لاهوتيّة مقدّسة». ولَسَوف تكون «إسرائيل» بعد ذلك بقليل، الوريث الشّرعي لعصبيّة طَموحة إلى الإستيطان والغلَبة والنّفي. فسنَجِد في أرض فلسطين بعد هُنيهة، محلاً خَصيباً للإنتقام ومفارقة مشاعر الإضطهاد. ولقد كانت النّتيجة مع الصّهيونيّة أن صار «الهولوكست» ديناً يُدان به، وعقيدة تُدين العالَم بأسره، وتُشعره بذنبٍ لا شأن له به.

حاصل القَوْل أنّ «إسرائيل» لم تكن إلّا حصاد الحداثة الغربيّة وذُنوبها، لكنّها مع التّوظيف الطّارِد لِكلّ حقيقة، ستُعيد الإضطهاد إلى نشأته الأولى. وفي فلسطين اليوم، يَنفجر الكُمُون العنصري ليأخذ أعلى مدى له، إذ سيولد من تشظّيه كمٌّ هائلٌ من الأفكار المُستعادة لليهوديّة السّياسيّة، منذ «تراجيديا السّبي» قبل عشرات القرون، إلى الإستيطان المفتوح الذي يَشقُّ قلب فلسطين لحظةً تِلوَ لحظة.

شيخ الأزهر: مَن يعترف بحصار غزّة ينضمّ إلى سجّاني العالم

ندَّد شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيّب بالهجوم «الإسرائيلي» على قوافل الإغاثة الإنسانيّة المتّجهة إلى قطاع غزّة أثناء عبورها المياه الدُّوليّة، واصفاً ذلك بـ «العمل الإجرامي»، مؤكّداً أنّ «مَن يَعترف بحصار غزّة يَنضمّ للسّجّانين الذين يُشرفون على أكبر سجن في العالم».

وقال الطيّب في بيانٍ أصدره مطلع الشّهر الفائت: «إنّ هذا العمل الإجرامي ليس جديداً في السُّلوك الصُّهيوني الغاشم الذي جرَّبناه، ويعرفه العالَم كلّه».

واعتبر أنّ مَن يَعترف بحصار غزّة إنّما ينضم إلى «السّجّانين الذين يشرفون على أكبر سجن في العالم»، مُستنكراً التّقارير والقوانين الدُّوليّة التي تُجيز الهجوم الدّموي على قافلة مُسالمة وهي في المياه الدُّوليّة، لا سيّما ما جاء في تقارير «بالمر» والأُمم المتّحدة التي تُناقض التّصريحات السّابقة لأمينها العام بان كي مون.

ووجّه شيخ الأزهر في سياق البيان نداءً إلى الشّعب الفلسطيني المحاصَر في غزّة قائلاً: «غداً سيندم الظّالمون ومَنْ يُؤيّد الظّالمين، ويا أهلنا في فلسطين إنّ دولة الظُّلم ساعة ودولة الحقّ إلى قِيام السّاعة».

بُنى تحتيّة «للجدار الفولاذي» بين مصر وقطاع غزّة

قبل ٨٢ عاماً
النشرة الجويّة والإقتصاديّة في لبنان

إعداد: «شعائر»

وُجدت هذه الوثيقة في إحدى المخطوطات التي كتبها العلّامة المرحوم المبرور الشيخ حسين بن محمّد سليمان العاملي البيّاضي المَزرعي قبل نحو ثمانية عقود، وتحديداً بتاريخ: الثلاثاء ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٠ هجريّة، الموافق لـ ٢٩ أيلول ١٩٣١ ميلاديّة.

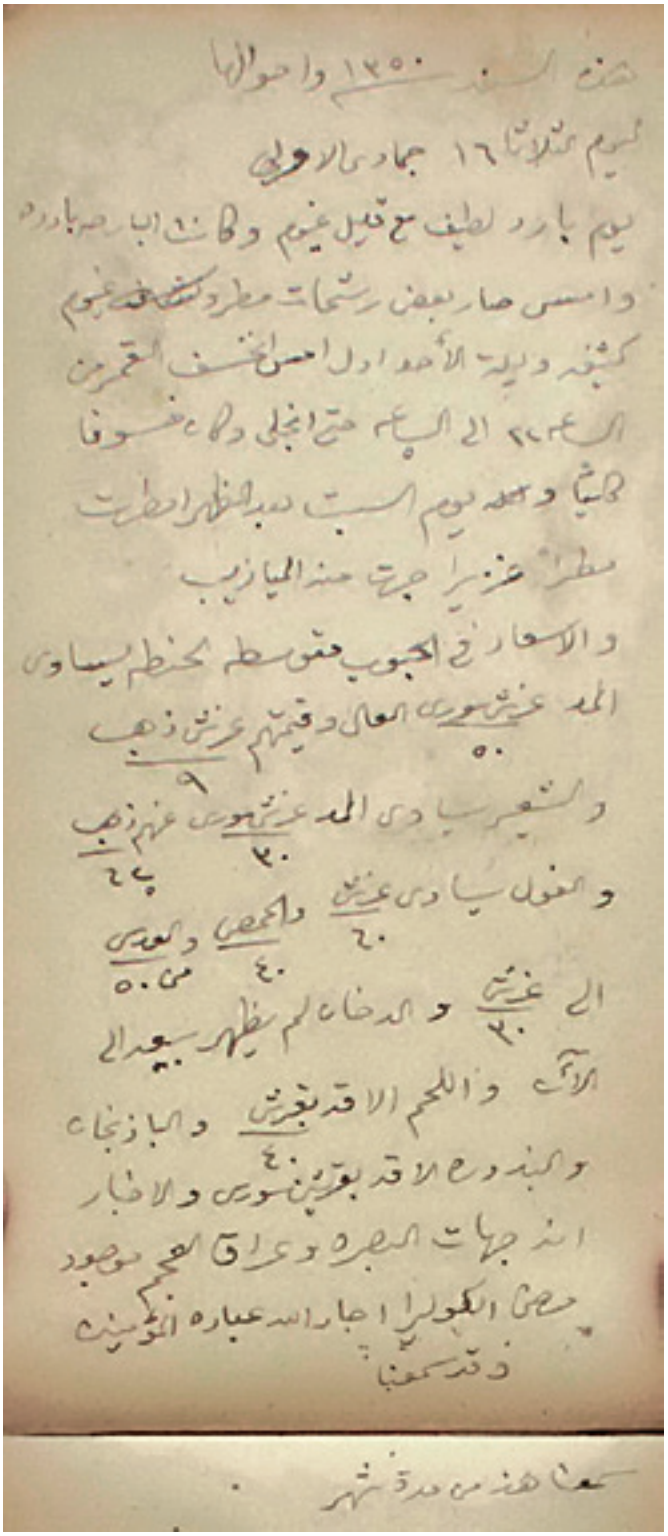

هذه السّنة ١٣٥٠ وأحوالها

ليوم الثلاثا ١٦ جمادى الأولى

يوم بارد لطيف مع قليل غيوم وكانت البارحة باردة وأمس صار بعض رشحات مطر وغيوم كثيفة وليلة الأحد أوّل أمس انخسف القمر من الساعة ٢٢ إلى السّاعة ٥ حتى انجلى وكان خسوفاً كلّياً ويوم السبت بعد الظهر أمطرت مطراً غزيراً جرت منه الميازيب.

والأسعار في الحبوب متوسطّة الحنطة يساوي المد ٥٠ غرش سوري العالي وقيمتهم ٩ غرش ذهب والشعير يساوي المد ٣٠ غرش سوري ثمنهم ذهب ٤,٢٥ [؟] والفول يساوي ٤٠ غرش والحمص ٤٠ والعدس من ٥٠ إلى ٣٠ غرش والدخان لم يظهر بعد إلى الآن واللّحم الأقّة بـ ٤٠ قرش والباذنجان والبندورة الأقّة بقرشين سوري والأخبار أنّه جهات البصرة وعراق العجم موجود مرض الكوليرا أجار الله عباده المؤمنين وقد سمعنا هذا من مدّة شهر.

من مخطوطات
مركز الفقيه العاملي لإحياء التراث
www.alameleya.org

دوائر ثقافية

في الإحياء الحضاري	د.محمّد عليّ آذرشب
أهل الفعل قليل	أسرة التحرير
«الأمالي» للشيخ الطوسي	قراءة: سلام ياسين
بَعْثُ الحَكَمين	الشيخ عباس كوراني
النبيّ والرّسول . الوساطة	«شعائر» . خضر إبراهيم
حِكم ولغة. تاريخ وبلدان. شعر	إعداد: جمال برّو
عربية. أجنبية. دوريات	ياسر حمادة

مشروع جديد في الإحياء الحضاري

د.محمّد عليّ آذرشب*

«المهمَّة الأولى لأُمَّتنا هي "الإحياء الحضاري". بهذا الإحياء نكون قادرين على استعادة وجودنا على ظهر الأرض سياسيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً، وبهذا الإحياء نتجاوز الخلافات الصغيرة والإختلافات المُفتعَلة».
دعوةٌ يوجّهها المفكّر د. آذرشب تستحقّ الوقوف عندها، والتمعُّن في دوافعها والأهداف.

لا يَشكُّ أحد في أنَّ الإحياء الحضاري أهمّ مسؤوليّة يتحمّلها العامِلون في السّاحة الإسلاميّة. فكلُّ ما نُعانيه من مظاهِر التَّخلُّف يجب دراسته في إطار تخلُّفنا الحضاري، وجميع ما نَتطلَّع إليه من عودة إلى السّاحة العالميّة ينبغي أن يكون في إطار الإحياء، إحياء النُّفوس المهزوزة المُنهزمة التي لا تَثِق بِرَبِّها ولا بِنفسها.

الإحياء الحضاري يَضع الأمَّة أمام مسؤوليّاتها الكبرى، ويُوجِّهها نحو معرفة ربِّها معرفة حقيقيّة لا سطحيّة، ونحو معرفة ما عندها من إمكانات وطاقات، وبذلك يُعيد إليها الثّقة بنفسها، والإيمان بِقدرتها على مواجهة التحدِّيات، ويُفجِّر في نفسها الطاقات الخلاَّقة البنّاءة.

في هذا السِّياق بدأنا بخطوة نأمل أن تتواصل، وهي تأسيس «مركز أبحاث مستقبل الحضارة الإسلاميّة»، الذي نَهَض به مجموعة من الأساتذة الجامعيّين بالتّعاون مع «وزارة العلوم والأبحاث والتّقانة» في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. هذا المركز وَضَع خطّة تجري ضمنها دراسات إجتماعيّة ونفسيّة وإعلاميّة وتعليميّة لِبَحث ما يَرتبِط بالهدف الكبير المذكور؛ هدف الإستئناف الحضاري.

الدِّراسات الحضاريّة في جامعاتنا ومؤسَّساتنا العلميّة كثيرة ولكنّها تسير -وفق المنهج الغربي- باتِّجاه تاريخ الحضارة الإسلاميّة، وكأنّها حضارة سادَت ثمّ بادَت مثل سائر الحضارات القديمة، لكنّنا ننطلق في هذا المركز الحديث من فَرَضيّة ترى أنَّ الحضارة الإسلاميّة تستطيع أن تَعود إلى الحياة إذا تمّ تفعيل العناصر الثقافيّة المُنتِجة للحضارة، بل تستطيع أن تقدِّم إلى العالم مشروعاً حضارياً متميِّزاً، يَجمع بين الجانبَين الرُّوحي والمادِّي من حياة الإنسان.

العالم الإسلامي أمام فرصة كبيرة يجب أن يَغتنمها وهي التحرُّك السَّريع نحو الإستئناف الحضاري، وهذه الفرصة الكبيرة تَوفّرت بعدما سَقَط أكبر مشروع فكري حضاري غربي مُتمثِّلاً بالماركسيّة، وها نحن نشهد مظاهر تَصدُّع واضح في مشروع غربي حضاري آخر هو الرأسماليّة.

من هنا، لا بد من التّحرُّك السّريع، وأقول السّريع لأنَّ الضُّغوط الدوليّة التي تواجه العودة الحضاريّة الإسلاميّة هائلة، وعلى رأسها محاولات تعميق الشّعور بالإحباط، وعمليّة الإذلال، وتكريس التخلُّف والتمزُّق والصِّراع البَيْني في عالمنا الإسلامي.

لعلّ توصيات الإستراتيجيّين الأميركيّين بشأن ضرورة الوقوف أمام صحوة الأمّة الإسلاميّة بدأت تأخذ طابعاً أكثر جدِّيّة في السنوات الأخيرة، وهي توصيات تأتي في سياق كلّ التّوصيات التي قدّمها خبراء قوَى الهَيْمنة العالميّة، من بريطانيا، والأجهزة الصهيونيّة.

لقد مارسَت هذه القوَى منذ سقوط العالم الإسلامي عمليّات مدروسة في إذلال المسلمين، وإفراغهم من هويّتهم، وزَرْع رُوح الإحباط والهزيمة في نفوسهم، وتعميق حالة الفقر والجهل والمرض في مجتمعاتهم، وفَرْض الأذلاّء القَتَلة على حكوماتهم، ولا تزال هذه العمليّة متواصلة، لكنّها اتّخذَت طابعاً أكثر جديّة وتطوُّراً مع تصاعد الوعي في عالمنا الإسلامي.

في سياق هذه العمليّات يأتي احتلال فلسطين، والحروب البَيْنِيّة في المنطقة، وتقسيم البلدان، وزرع بُؤر الأزمات الحدوديّة، وإثارة النِّزاعات القوميّة والطائفيّة، بل وفي هذا السياق يأتي تنظيم المجموعات الإرهابيّة لِتَقتل دونما هدف، ولِتُشَوِّه صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم.

هذا هو الذي يدعونا إلى أنْ نقول إنَّ المهمَّة الأولى لِأُمَّتنا هي «الإحياء الحضاري». بهذا الإحياء نكون قادرين على استعادة وجودنا على ظهر الأرض سياسيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً، وبهذا الإحياء نتجاوز الخلافات الصغيرة والإختلافات المُفتعَلة، ليتّجه تفكيرنا نحو ما يَخدم «الإنسان»، أي إنسان.

*رئيس تحرير فصليّة «ثقافتنا»

لو تعلم مَن تُناجي.. ما انفتلت

إنَّ أهلَ الفعلِ قليل

إعداد: أسرة التّحرير

جرياً على عادتها في البحث عمّا يترك وقعاً في الفكر والقلب، مجموعة جديدة من العِبَر والقصص تضعها «شعائر» بين يدَي قرّائها.

ما يلي، فرائد ممّا ورد في كتاب (جامع أحاديث الشيعة) للسيّد البروجردي، و(الكافي) للكليني، و(الكشكول) للشيخ البهائي، وتوجيهات لشيخ الفقهاء العارفين، الشيخ بهجت قدس سره.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام، عن السّاعة التي يكون فيها العبد أقربَ شيءٍ إلى الله تعالى، فقال: «**إذا قام في آخر اللّيل والعيون هادئة**"..." **ويصفّ قدمَيه ويرفع صوته ويُكبِّر، وافتتح الصَّلاة فقرأ جزءاً (أجزاء)، وصلّى ركعتين، وقام ليعيد صلاته، ناداه منادٍ من عنان السَّماء عن يمين العرش**: "..." **إنَّ البرَّ ليُنشَر على رأسك من عنان السَّماء، والملائكة محيطة بك من لدُن قدميك إلى عنان السَّماء، والله ينادي: عبدي لو تعلم مَن تناجي، إذاً ما انفتَلت**». والإنفتال هو الإعراض بالوجه عن الشيء.

(جامع أحاديث الشيعة، البروجردي)

أهل الوصف وأهل الفعل

الإمام الباقر عليه السلام: «**قال أبي عليه السلام يوماً وعنده أصحابه: مَن منكم تطيب نفسه أن يأخذ جمرة في كفِّه فيُمسكها حتّى تَطفأ؟ فكاع** [كاع: هابَ وجَبُنَ] **النّاس كلّهم ونكلوا، فقمتُ فقلتُ: يا أبتِ أتأمرني أن أفعل؟ قال: فليس إيّاك عَنَيْت، إنّما أنت منّي وأنا منك، بل إيّاهم أَردتُ. فكرَّر هذا ثلاثاً، ثمّ قال: ما أكثر الوصف وأقلّ الفعل! إنَّ أهل الفعل قليل، ألا وَأَنا أعرف أهل الفعل والوصف معاً**، [ثمّ قال الإمام الباقر]: **فوالله لكأنّما مادت بهم الأرض حياءً**».

(الكافي، الكليني)

شماتة وجواب

قال أحدُ علماء البلاط العبّاسي لمؤمن الطّاق: «ماتَ إمامُك»، يقصد بذلك الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقال له مؤمن الطّاق: «لكنَّ إمامَك من المُنظرين إلى يوم الوقت المعلوم».

(كشكول البهائي)

جنايات ثلاث

زار أحدُ العلماء أحدَ العبّاد ونقل إليه كلاماً عن بعض معارفه، فقال له العابد: «قد أبطأتَ في الزِّيارة وجئتَني بثلاث جنايات، بغَّضتَ إليَّ أخي، وشَغلْتَ قلبي الفارغ، واتَّهمتَ نفسك».

(كشكول البهائي)

تدعو لأبيها في لحده

وقفت أعرابيّة على قبر أبيها، فقالت: يا أبتِ، إنَّ لي في الله تعالى عوضاً عن فقدك، وفي رسول الله أسوة في مصيبتك، ثمّ قالت: أللّهمّ نزل بك عبدُك خالياً مقفراً من الزّاد، محشوش المهاد، غنيّاً عمّا في أيدي العباد، فقيراً إلى ما في يدك يا جواد، وأنت أيْ ربِّ خير مَنْ نزل به المُرمّلون، واستغنى بفضله المُقِلُّون، وولج في سِعةِ رحمته المذنبون، أللّهمّ فليكن قِرى عبدك منك رحمتك، ومهاده جنَّتك، ثمّ بكت وانصرفت.

(كشكول البهائي)

حقّ وليّ نعمتنا

أُمرنا أن نعرف مقام أولياء نعمتنا والمحسنين إلينا كالوالدَين والمعلّم، وأن نحترمهم ونوقّرهم حتّى نصل إلى مبدأ الإنعام، كما أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام هم أولياء النّعمة وواسطة الفيض في كلّ زمان.

وهل يجوز أن يكون قائدنا ومولانا إمام العصر عجل الله فرجه حزيناً ونحن فرحون؟! أو يكون باكياً بسبب ابتلاء شيعته ونحن نضحك مسرورين؟! ونعتبر أنفسنا تابعين له عليه السلام؟!

ألا يُفترض أن نقلق لأنّنا متديّنون على هذا النّحو؟! إذا كان الشّيعة الصّادقون هم مَن «**يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»، فهل نحن كذلك؟ وهل نحن شركاء للأئمّة عليهم السلام في أفراحهم وهمومهم؟ وهل من الممكن أن نكون شيعة تمرّ علينا ليلة من غير أن ندعو لهلاك أعداء الإسلام وأعداء أهل البيت عليهم السلام؟

(في مدرسة المقدّس الشيخ بهجت قدس سرّه)

كتاب الأمالي

للشيخ أبي جعفر الطوسي

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: «المجالس في الأخبار» أو «الأمالي»

المؤلّف: أبو جعفر، محمّد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة (٣٨٥-٤٦٠ هجريّة)

تحقيق: «مؤسّسة البعثة»

الناشر: «دار الثقافة، ط ١، قم ١٤١٤هجريّة

إنّ أقدم مخطوطة لهذا الكتاب القيّم تعود إلى سنة ٥٨٠ هجريّة بخطّ السديد بن محمد بن هلال الكاتب، تليها طبعة حجريّة سنة ١٣١٣ هجريّة في إيران، ثمّ طبعة «مطبعة النعمان» في النجف سنة ١٣٨١ هجريّة-١٩٦٤م، ثمّ هذه الطبعة التي بين أيدينا.

في المكتبة الإسلاميّة كتب عدّة بعنوان (الأمالي) أو (المجالس)، وهي عبارة عن محاضرات يُمليها الشيخ على تلاميذه في مجلس، أو في مجالس، وفي أيّام معيّنة، أو في مواسم خاصّة، عن ظهر قلبه أو عن كتابه.

وكتاب (الأمالي) للشيخ أبي جعفر الطوسي قدس سره، عبارة عن مجالس عُقدت في مشهد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف، كان يُلقيها على تلاميذه، ومن بينهم ولده «أبوعلي» الذي أملاها بدوره على تلاميذه فيما بعد. أيّ أنّ الذي حدّث بها عن المؤلّف هو ولده أبو علي دون غيره ممّن حضر هذه المجالس، ممّا جعل بعض الباحثين يعتقد نسبة هذه الأمالي للإبن.

يقول السيّد الأمين في (أعيان الشيعة): «إنّ الأمالي المتداول هو للشيخ الطوسي لا لولده، فإنْ كان يوجد أَمالٍ أخرى لولده ".." فذاك، وإلا فهذا المتداول لا علاقة للمترجَم -يعني أبا علي الطوسي- به إلّا أنّه يرويه عن أبيه».

وقد ذكر الشيخ الطوسي هذا الكتاب ضمن ترجمته لنفسه في (الفهرست)، فقال: «وله كتاب المجالس في الأخبار».

مؤلّف الكتاب

هو الشيخ محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي، ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥ هجريّة، في طوس -على الأرجح- وبها نشأ، ولمّا بلغ الثالثة والعشرين من عمره هاجر إلى بغداد، وكانت الزعامة للشيعة الإماميّة فيها للشيخ المفيد، فتتلمذ في مجلسه، مدّة خمس سنوات، وكان ممّا درسه الأصول والكلام، وشرعَ حينذاك في تأليف كتاب (تهذيب الأحكام) وهو أحد الكتب الأربعة في الحديث عند الإمامية، وتتلمذ أيضاً على الحسين بن عبيد الله الغضائري، ومحمّد بن أحمد بن أبي الفوارس، وغير هؤلاء من شيوخ عصره.

وبعد وفاة الشيخ المفيد عام ٤١٣ هجريّة، انتقلت زعامة الإماميّة إلى الشريف المرتضى، فحضر الشيخ الطوسي مجلسه ودرس على يديه مدّة ثلاثة وعشرين عاماً، ألّف خلال ذلك كُتب: (تلخيص الشافي) و(الرِّجال) و(الفهرست). وبعد وفاة السيد المرتضى عام ٤٣٦ هجريّة، تفرّغ الشيخ الطوسي للتدريس والتعليم، وانشغل بالأمور التي تخصّ الزعامة الدينيّة للإماميّة، واستمرّت زعامته في بغداد مدّة اثنتي عشرة سنة (٤٣٦ - ٤٤٨ هجريّة).

كان رضوان الله عليه يحظى بالمكانة التي حظِيَ بها أستاذاه المفيد والمرتضى عليهما الرحمة، فأصبح الطوسيّ شيخ الطائفة وعُمدتها، والإمام المعظّم عند الشيعة الإمامية، وتقاطر عليه العلماء لحضور مجلسه، حتّى عُدّ تلاميذُه أكثر من ثلاثمائة، من مختلف المذاهب الاسلامية، وقد منحه الخليفة العبّاسي «القائم بأمر الله» كرسيّ الكلام، وكان هذا الكرسيّ لا يُعطى إلّا للقليلين من كبار العلماء.

بعد دخول السلاجقة الى بغداد عام ٤٤٨ هجريّة وإفسادهم فيها، ومن ذلك إحراقهم دار الشيخ الطوسي وعدداً من كتبه، هاجر إلى النجف الأشرف، وبقي فيها حتى وفاته قدس سره سنة ٤٦٠، واستمرّت أسرته فيها من بعده.

وقد غدت مدينة النجف بعد فترة قصيرة من وصول الشيخ الطوسي إليها، حاضرةَ العلم والفكر، وأخذ الناس يُهاجرون إليها من مختلف

المناطق، وباشر الشيخ بعد إقامته بها بالتدريس، فكان يُملي دروسه على تلاميذه بانتظام، وما كتابُ (الأمالي) إلّا محاضرات ألقاها هناك، واستمرّ في تدريسه وإلقاء محاضراته حتى أواخر حياته الشريفة.

مصادر الكتاب

كانت مصادر الشيخ الطوسي عن بعض شيوخه، كالشيخ المفيد، وابن عبدون، وابن الصّلت الأهوازي، وهلال الحفّار، وأبي منصور السكري، والحسن بن محمّد الفحام، وابن أبي الفوارس، والحسين بن إبراهيم القزويني، وابن خشيش، وأبي الطيّب الطبري، وابن بشران، وابن مخلد، وابن مهدي، وابن الحمامي، وابن شاذان، وابن حمويه، وابن شبل، والجرجاني، والصفّال، والغضائري.

مجالس الكتاب

عددها ستّة وأربعون مجلساً، وهي على قسمين؛ الأوّل يضمّ ثمانية عشر مجلساً، والثاني ثمانية وعشرين، واستغرق إملاؤها جميعاً ثلاث سنين، ابتداءً من شهر ربيع الأوّل سنة ٤٥٥ هجريّة، إلى شهر صفر ٤٥٨ هجريّة، بعضها مؤرّخ بالشهر والسنة، وبعضها الآخر باليوم والشهر والسنة.

وكان من عادة الشيخ الطوسي عقدُها أيّام الجُمَع، ويبدأ الكلامَ فيها بذكر مشايخه الذين روى عنهم. وممّا يُلفت الإنتباه في هذه المجالس طابع الإستمراريّة والثّبات على عقدها يوم الجمعة، وهو يشير إلى انتظام الوضع الدراسي والحركة العلمية في النجف الأشرف، بعد النكسة التي أصابتها في حوادث بغداد عام ٤٤٨ هجريّة.

تضمّ «أمالي الشيخ الطوسي» طائفة من الأحاديث النبويّة الشريفة، وجانباً من السيرة النبوية، وروايات عن الأئمّة عليهم السلام في التفسير والحكم والمواعظ، وأدعية مأثورة، وقد حظِي التاريخ فيها بمجال واسع، حيث تناول الشيخ بعض حوادثه بالتفصيل، كهجرة المسلمين إلى الحبشة، ويوم خيبر، ويوم مؤتة، والخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، كما وتناول بعض الحركات السياسية في التاريخ الاسلامي، كثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وغيرها.

مختارات من الكتاب

نقتطف في هذا الباب مجموعة من الأحاديث التي رواها الشيخ الطوسي عن مشايخه متسلسلة إلى المعصومين عليهم السلام:

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب..**».

* وعنه صلى الله عليه وآله: «**ما فُتح لأحدٍ بابُ دعاء إلّا فتح الله له فيه بابَ إجابة، فإذا فُتح لأحدكم باب دعاء فليَجهد، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يمَلّ حتى تملّوا**».

* وعنه صلى الله عليه وآله: «**لَتُنقَضُ عُرى الإسلام عُروة عروة، كلّما نُقضت عروة تشبّث الناس بالتي تليها، فأوّلُهنّ نقضُ الحكم، وآخرهنّ الصلاة**».

* الإمام السجّاد عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إلزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لَقيَ الله اليوم القيامة وهو يودُّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والّذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عملُه إلّا بمعرفة حقّنا**».

* في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الأنعام:١٤٩، عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنتَ عالماً؟ فإنْ قال نعم، قال له: أفلا عملتَ بما علِمت؟ وإن قال كنتُ جاهلاً، قال له: أفلا تعلّمتَ حتّى تعمل؟ فيخصمُه، فتلك الحجّة البالغة**».

* الإمام الصادق عليه السلام لمن سأله أن يعلّمه دعاءً يدعو به في المهمّات، فعلّمه دعاء جدّه زين العابدين عليه السلام، وفيه: «**أللّهم هديتَني فلهوتُ، ووعظتَ فقسوتُ، وأبليتَ الجميلَ فعصيتُ، وعرّفْتَ فأصررتُ، ثمّ عرِفتُ فاستغفرتُ فأقلتَ، فعدتُ فسترتَ، فلك الحمدُ إلهي، تقحّمتُ أوديةَ هلاكي، وتحلّلتُ شِعابَ تَلَفِي، وتعرّضتُ فيها لسطواتك، وبحلولها لعقوباتك، ووسيلتي إليك التوحيد، وذريعتي أنّي لم أُشرك بك شيئاً، ولم أتّخذ معك إلهاً، وقد فررتُ إليك من نفسي، وإليك يفرّ المُسيء، وأنت مَفزعُ المُضيِّع حظَّ نفسِه..**».

* الإمام الكاظم عليه السلام: «**عليك بالجدّ، ولا تُخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنّ الله لا يُعبدُ حقّ عبادته**».

* أوّل شعرٍ رُثي به الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما، قولُ عقبة بن عمرو السهمي:

مـــررتُ عـلـى قـبـر الحـسـين بكربلا ... ففاض عليه مـن دمـوعـي غزيرُها
فما زلـتُ أرثـيـه وأبـكـي لشجْوِه ... ويُـسـعـدُ عـيـني دمـعُـهـا وزفـيرُهـا
وبـكِـيـتُ مـن بعد الحـسـين عصابةً ... أطـافـت بـه مـن جانبيه قـبـورُهـا
ســلامٌ عـلـى أهـل الـقـبـور بكربلا ... وقــلّ لهـا مــنّي ســلامٌ يـزورُهـا

بَعْثُ الحَكَمَين

.. حَكَماً من أهله وحَكَماً من أهلها

الشيخ عبّاس كوراني

من السُّنن المهجورة بعثُ الحكمين عندما يختلف الزَّوجان للإصلاح بينهما، وذلك قبل أن يستحكم الخلاف والشِّقاق، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ..﴾ النساء:٣٥.

كيف يعالج الإسلام هذه المشكلة، وما هي صلاحيّات الحَكَمين، ومَن يجب عليه أن يختارهما. تقدّم «شعائر» هذا الموضوع بتفاصيله نظراً لأهمّيته الخاصة.

إنَّ الله تبارك وتعالى هو مصدر التّشريعات الإسلاميّة، وهو العالم بكلّ مكنونات الإنسان وما يُصلحه وما يُفسده. وعليه، فإنّ هذه التشريعات قد وضعت حلولاً ومعالجات لكلّ ما يحصل للإنسان في حياته، لو التزم بها لتلافى كثيراً من المشاكل والإنحرافات والمخالفات التي يرتكبها. ومن جملة هذه المشاكل: الشِّقاق بين الزّوجين.

معنى الشِّقاق

الشِّقاق هو نشوز الزّوج والزّوجة معاً، فكأنّ كلّ واحد منهما جانب [وشِقّ] (الفتّال النيسابوري، روضة المتقين: ٩/ ١٣٤)، والشّقاق المخالفة وكونك في شقٍّ غير شقّ صاحبك، أو مِن شقّ العصا بينك وبينه (مفردات الراغب، مادة "شق" ٢٦٤).

يقول صاحب الجواهر قدس سره: والظّاهر تحقُّق الشّقاق بينهما بالنّشوز من كلٍّ منهما، ومن هنا كان المحصّل من الأصحاب في المراد من الآية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ..﴾ إضمار الإستمرار، بمعنى وإن خفتم استمرار الشّقاق بينهما، أو كَوْن المُراد بالخوف، العلم والتّحقّق (الجواهري، جواهر الكلام: ٣/ ٢٣٣ عنه الشيخ محسن آصف، حدود الشريعة: ٩/ ٩٥).

الوجوب، وعلى مَن

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ النساء:٣٥.

ظاهر الآية وجوب البعث شرعاً لقوله تعالى (فابعثوا).

وعلى مَن يجب؟

مَن هو المخاطَب في قوله تعالى (فابعثوا) و(خفتم)؟ هل هو الرجل أم المرأة لأنّ الأمر يتعلّق بهما، ولو كان المطلوب منهما أن يبعثا الحكمين لأتى نصّ الآية (فإن خافا شقاق بينهما) وكذلك (بعثا)، ولكن النصّ لم يأتِ كذلك.

أي أنّ المخاطَب غير الزوجين؟

المتيقّن منه [أنّه] الحاكم الشرعي، وفي مثل عصرنا لا يبعد شمول الخطاب للعلماء، ويحتمل أن يكون المخاطَب به جميعَ المكلّفين سوى الزّوجين، فيجب عليهم بالوجوب الكفائي محاولة الإصلاح ورفع الشّقاق ولو بالتّفريق المشروع، والقول بتوجيه الخطاب المذكور من الآية إلى الزّوجين نفسيهما ضعيف جداً (حدود الشريعة: ٣/ ٩٤).

ما يُشترط في الحكمين

١. يعتبر في الحكمَين العقل والبلوغ وأهليّة التّوفيق، أمّا العدالة فغير معتبرة لعدم الدّليل عليها.

٢. والمهمّ في الحكمَين أن يكون كلّ واحدٍ منهما يريد الخير للزّوجين، ويكون لديهما اطّلاع عليهما ليتمكّنا من حلّ المشاكل بينهما توصّلاً للإصلاح.

٣. والأهمّ من كلّ شيء أن يكون الحكمان عالمَين بالأحكام الشرعيّة المتعلّقة بعملهما من جهة فصل المخاصمات بين الزّوجين، وإلزام كلّ منهما ما يجب عليه من الحقوق والواجبات (حدود الشريعة: ٩/ ٩٥).

عمل الحكمَين

إنّ وظيفة الحكمين وظيفة خطيرة جداً، إذ يتوقّف على عملهما مصير أسرة قد تكون مؤلّفة من مجموعة أفراد، فإن تفرّق الزّوجان انفصمت عُرى هذه الأسرة وتفكّكت، وخاصّة إذا كان الأولاد والبنات صغار السّن، فإنّهم سوف يعيشون حالات غير سويّة من حيث العواطف، وتنمو شخصيّاتهم على المكايدة من جهة تأثير الأبوين عليهما تأثيراً سلبيّاً يؤدّي إلى ما لا تُحمد عقباه. ولذا، لا بدّ للحَكَمَين من أن يُحكِّما ضميريهما في شأن الزّوجين، وهنا لا بدّ من القيام بخطوات عدّة:

أولاً: أن يسمعا رأي كلّ من الزّوج والزّوجة ليقفا على أصل المشاكل التي أدّت إلى الشّقاق، وتحليل موقفيهما تحليلاً دقيقاً، والوقوف على مراميهما ومقاصدهما من كلامهما بمختلف الأمور.

ثانياً: البحث في حقوق كلّ من الزّوج والزّوجة الشرعيّة، ومعرفة الأحكام الشرعيّة التي لا بدّ من تطبيقها في حقّهما، مثل حفظ مهر الزّوجة وحقّها في الحضانة، وكذلك حقّ الزّوج في حضانة أولاده، وما يترتّب عليه من الحقوق حين الطّلاق.

ثالثاً: تذكير كِلا الزوجين بعواقب أعمالهما وما يترتّب عليه افتراقهما من الحقوق لكلٍّ تجاه الآخر، ومن تدمير أسرتهما وضياعها، وكذلك إطلاعهما على ما في الإصلاح من النّفع لهما.

رابعاً: أخذ الإذن من الرّجل والمرأة في القيام بالمفاوضة عنهما بمختلف الأمور، وأنّهما مُطلقا الصلاحيّة في الإصلاح والطّلاق إنِ اتّفق الحكمان عليه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يكون تفريقٌ حتى يجتمعا** [أي الحكمان] **على التّفريق، فإن اجتمعا على التّفريق جاز تفريقهما**».

وفي نصٍّ آخر سُئل الإمام: «أرأيت إن قال أحد الحَكَمَين قد فرّقت بينهما، وقال الآخر لم أفرّق بينهما، قال عليه السلام: **لا يكون تفريقٌ حتى يجتمعا على التّفريق** "..." **فإن اجتمعا جاز التّفريق بينهما**» (روضة المتقين: ٩/ ١٣٤).

شروط التّفريق

لا يصحّ التّفريق بين الزوجين إلّا بثلاثة شروط:

الأوّل: إذن الزّوجين للحَكَمَين بالتّفريق.

الثاني: إتّفاق الحكمَين على التّفريق.

الثالث: توفّر الشّرائط المعتبرة في الطّلاق، وهي كون المرأة في طُهْرٍ لم يقاربها فيه زوجها (حدود الشريعة: ٣/ ٩٤).

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**ليس للحكَمين أن يُفرّقا حتى يستأمرا الرّجل والمرأة ويشترطان عليهما إن شاءا جمعا وإن شاءا فرّقا؛ فإن جَمعا فجائز، وإن فرّقا فجائز**» (روضة المتقين: ٩/ ١٣٥).

نفوذ حُكم الحكمَين

المفهوم من الآية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ..﴾ والأحاديث التي أوردناها في هذا الموضوع، نفوذ حُكم الحكمَين على الزّوجين في غير الطّلاق، بل في الطّلاق أيضاً في صورة الإشتراط من الأوّل، فيجب على الزّوجين إمضاء ما حكم به الحكمان المذكوران.

نعم، إن رفعا شقاقهما قبل حُكم الحكمَين أو تراضيا بعدما حكما، يسقط وجوب الإمضاء. وجاء في روايتين قول الإمام الصادق عليه السلام: «**جاز تفريقهما، وإن فرّقا فجائز**» معناه نفذ ونافذ (حدود الشريعة: ٩/ ٩٤).

تحصينُ البيتِ والأُسرة بالقرآن

«.. البيتُ الذي يُقرأ فيه القرآن، ويُذكر اللّه عزّ وجلّ فيه، تكثر بركتُه، وتحضرُه الملائكة، وتهجرُه الشياطين، ويُضيء لأهل السماء كما يُضيء الكوكب الدُّرّيُّ لأهل الأرض..»

الإمام الصادق عليه السلام

مصطلحات

النّبيّ والرَّسول

إعداد: «شعائر»

النبوّة في اللُّغة: الرِّفعة وعلوّ المنزلة. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ..﴾ الأنعام:٨٩، والنبيُّ هو صاحب هذه المنزلة، أمّا الرّسول -من عند الله تعالى- فهو صاحبُ شريعة، وواسطة بين الخالق وعباده، ولا يكون إلّا نبيّاً، في ما لا يكون النبيّ رسولاً بالضرورة.

ما يلي، إضاءة على مصطلَحي «النبيّ والرسول» مختصرة ومقتبسة من كتاب «مصطلحات إسلاميّة» للسيّد مرتضى العسكري رحمه الله.

النبوّة مَنزلَةٌ خَاصَّة فُضِّلَ النّبيُّ بها بما آتاهُ اللهُ مِنَ العِلم والقُربِ منه تعالى، وعليه فإنَّ النبيَّ هو مَن أُوتيَ تلك المنزلة، وهي المقصودة في خطابه تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ الأحزاب:٤٥-٤٦.

والنّبيُّ يُوحى إليه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ..﴾ النساء:١٦٣.

إذاً فالنّبيَ مُصطلح إسلامي بمعنى: إنسان ذي منزلة رفيعة عند اللهّ يُوحَى إليه، وقد يبعث اللهّ تعالى النبيّين رُسلاً مبشّرين ومنذرين لهداية النّاس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ..﴾ البقرة:٢١٣.

الرّسول

الرّسول: حامل الرّسالة، وهو وسيلة هداية الرّبّ للنّاس، وله شرف الوساطة بين الرّبّ والمَربوبين من البشر، ومُرسَل برسالة خاصّة إليهم، ويختاره اللهّ ممّن أُرسِلَ إليهم ومن أهل لغتهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ..﴾ إبراهيم:٤، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا..﴾ هود:٥٠، ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا..﴾ هود:٦١، ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا..﴾ هود:٨٤ [الآيات الثلاث الأخيرات وردت في غير موضعٍ من القرآن الكريم، فليلاحظ]

وإنّ الحكمة في ذلك [كوْن الرسول من قومه ورهطه] واضحة: لِيَتقوّى برهطِه في أداء التّبليغ، كما حكى اللهّ تعالى عن قوم شعيب أنّهم قالوا له: ﴿..وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ..﴾ هود:٩١.

ويُرسِل الله تعالى الرّسلَ لهداية النّاس وإتماما للحجّة عليهم، كما قال سبحانه: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ..﴾ النساء:١٦٥، ﴿..وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ الإسراء:١٥. هذا، وتستحقّ الأُمم التي تعصي الرّسول عذاب الدّنيا والآخرة كما أخبر سبحانه عن فرعون ومَن قبله: ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ الحاقة:١٠، وتكون معصية الرّسول معصية اللهّ تعالى: ﴿..وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ الجن:٢٣.

واختار اللهّ تعالى الرُّسل من الأنبياء، وكان عددهم أقلّ من عدد الأنبياء كما ورد في ما رواه أبو ذرّ: «..فقلت: يا رسول اللهّ ﷺ، كم هي عدّة الأنبياء؟ قال: **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرّسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة عشر، جمّاً غفيراً**».

وبناءً على ما ذكرناه، فإنَّ كلَّ رسول نبيٌّ، وليس كلّ نبيّ رسولاً، مثل اليسَعَ عليه السلام فإنّه كان نبيّاً ووصيّاً للكليم موسى بن عمران عليه السلام. ومِن الرُّسل مَن جاء بشريعة ناسِخة لبعض ما في الشَّريعة السَّابقة، كما كان شأن شريعة النبيّ موسى عليه السلام بالنّسبة إلى الشَّرائع السابقة على شريعته، ومنهم مَن جاء بشريعة مُتمِّمة ومجدِّدة للشَّريعة السَّابقة كما كان شأن شريعة خاتم الأنبياء ﷺ بالنسبة إلى حنيفيّة إبراهيم الخليل عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا..﴾ النحل:١٢٣.

الوَساطة

حركة مثلَّثة الأضلاع بين مُحايِد ومُتَخاصِمَين

إعداد: خضر إبراهيم

أَوْلَت اللُّغة العربيّة مكانةً رفيعةً للوَساطة، فمَنَحتْها الشُّمول والعُمق، في مدلولها اللُّغوي، وفي البُعد الأخلاقي - الإنساني على الصَّعيدَيْن الإجتماعي والسِّياسي.

والوَساطة في اللّسان العربي هي المصدر، وهي عمل الوَسيط، أي المُتوسِّط بين مُتخاصمَين، الذي هو أيضاً الشَّريف الحسيب في بني قومه.

يُقال: هو في واسِطة قَوْمه، أيْ خِيارهم. ثمَّ إنَّ الوَساطة هي العِلَّة التي بسببها يَنبثِق الفأل الحَسَنُ من عتمة الشُّؤم. ويَصف بعض اللُّغويّين «الواسطة» بالجوهرة التي في وَسَط العقْد، وهي أجْوَد جواهره.

إكتَسَبت الوَساطة معناها السِّياسي الإجتماعي مِن اعتبارها المَسعى الذي تَقوم به دولة ما، أو منظَّمة دوليّة بغيَة التَّوفيق بين دولتَين متنازِعتَين، وإيجاد تسوية للخلاف القائم بينهما، وذلك إمّا بواسطة دولة أجنبية، أو بواسطة شخصيّة مرموقة تَعمل بوَحْيٍ منها، أو بناءً على طَلَب أحد الطَّرفَين، أو تكليف إحدى المنظَّمات الدُّوليّة أو القاريّة أو الإقليميّة.

وللوَساطة مواصفات وشروط ينبغي على الجهة المعنيّة أنْ توفِّرها لأجل النّجاح في مهمتها. وأبرزها ما يلي:

- أن تكون الجهة المُتواسطة حياديّة بين الطَّرفَين المُتنازعَين، وأن تكون مقبولة منهما.
- أن تَتوفَّر الرّغبة لدى الطَّرفَين المُتنازعَين بإجراء الوساطة من جانب طَرَفٍ مُتوافَقٍ عليه.
- أنَّ الدَّولة الوَسيطة تقدِّم وساطتها بملء إرادتها دون أن تكون مُرغَمة على ذلك.
- أنَّ الدَّولة المتنازِعة حرّة في قبول الوَساطة أو رفضها، لأنَّ الوَسيط ليس قاضياً يَفرض الحلَّ الذي يؤمِن بعدالته.
- أنَّ نتيجة الوساطة ليست إلزاميّة، ولا يُمكن فرضها على الطَّرفَين المُتنازعَين كما هو الأمر في التَّحكيم.
- أنَّ الوسيط يَسعى لتهدئة الأمور، أو يَشترك مباشرةً في المفاوضات ويَسعى لِتَقريب وجهات نَظَر الطَّرفَين المُتباينة، وادِّعاءاتها المُتضاربة، والتَّقدّم بِحُلول قد يَقبل بها الطَّرفان دون ضغط أو إكراه، تاركاً لهما ملء الحرّيّة في الموافقة عليها.

ولقد حاولت إتِّفاقيّات لاهاي لعام ١٨٩٩م وعام ١٩٠٧م تنظيم الوَساطة واعتبارها مجرَّد مَشُورة غير إلزاميّة، سواء تمَّت بصورةٍ عفويّة، أم بناءً على طلب إحدى الدُّول المُتنازِعة، ونصَّت الإتفاقيات على أنَّ الوساطة لا تُعتبر عملاً غير وِدِّيّ، وأنّه يَحقّ للدُّول إعادة عَرْض وساطتها رغم رفضها في المرّة الأُولى.

ولقد اكتَسبَ مفهوم الوَساطة في لبنان معنىً خاصّاً ومتعدِّد الأَوْجُه، بحيث شَمل: الوَساطة الشَّخصيّة والوَساطة الحزبيّة، وتلك التي قامت بها أجهزة الدَّولة بين الأطراف المُتحاربة إبّان الحرب الأهليّة، ناهيك عن الأطراف الدُّوليّة، والشَّخصيّات المُنتَدَبة من منظَّمات عالميّة، أو تابعة للأُمم المتَّحدة. ولعلَّ مزيّة الوساطة في حروب لبنان، إنّها أَنتجت هُدَناً أمنيّة وسياسيّة ولم تُنتِج حلّاً ثابتاً ودائماً.

ومِن أغرب «الوَساطات» التي شهدها لبنان، «وَساطة» المبعوث الأمريكي فيليب حبيب عام ١٩٨٢م، الذي بَدا مُنحازاً بالكامل للجانب الصُّهيوني، حيث طَرَح خمسة شروط تعجيزيّة لِتحقيق إنسحاب جيش الإحتلال «الإسرائيلي».

وفي السَّنوات اللّاحقة، شَهِد لبنان عدّة وَساطات دوليّة وعربيّة بين الأطراف المُتحارِبة، منها المبادرة الجزائريّة بوساطة الأخضر الإبراهيمي إبّان ما عُرف بحرب الجنرال ميشال عون سنة ١٩٨٩م.

وإلى الوَساطة التَّقليديّة، هناك ما سُمِّي بالمَساعي الحميدة، وهذا النّوع جرى في لبنان في حالات كثيرة. وقد حصلت المساعي الحميدة بِصُورة سرِّيّة، واقتصَرت على تيسير المفاوضات وتذليل العقبات بين المعنيِّين، لكنّها لم تُسْفِر يوماً عن تسوياتٍ أو حُلولٍ جدِّيّة.

حِكَم

من وصية الإمام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي:

«يا جابر إغتنم من أهل زمانك خمساً: إنْ حَضرتَ لَمْ تُعرف، وإنْ غبتَ لَمْ تُفتَقَد، وإنْ شَهِدْتَ لَمْ تُشاوَر، وإنْ قُلتَ لَمْ يُقبَل قَوْلُك، وإنْ خَطبتَ لم تُزوَّج. وأُوصيكَ بِخَمس: إنْ ظُلِمتَ فلا تَظلِم، وإنْ خانوكَ فلا تَخُن، وإنْ كُذِّبْتَ فلا تَغضبْ، وإنْ مُدِحْتَ فلا تَفرح، وإنْ ذُمِمْتَ فلا تَجزَع، وفكِّر في ما قيل فيك، فإنْ عرفْتَ من نفسك ما قيل فيك، فَسُقوطك من عينِ الله عزَّ وجلَّ عند غضبك من الحقِّ أعظم عليك مصيبةً ممّا خفْتَ من سُقوطك من أَعْيُن النّاس. وإنْ كنتَ على خِلافِ على ما قيل فيك، فَثَوابٌ اكتَسبْتَه من غير أن يَتعب بدنك..».

لُغَة

* ق ت ب: القَتَب بالتّحريك: رَحْلُ البعير، صغير على قدر السّنام، وجمعه (أقتاب) كأسباب.

* ق ت ت: في الحديث «**الجنّة مُحرَّمة على القتّات**» والمُراد به النَّمّام المُزوِّر، من قتّ الحديث: **نمّه وأشاعه بين النّاس**. ومنه (**يقتّ الأحاديث**) **أي ينمّها**. وفيه: «مَن بَلَّغ بعض النّاس ما سمع من بعض آخر منهم فهو القتّات، فلا ينبغي سماع بلاغات النّاس بعضهم على بعض ولا تبليغ ذلك». **وقيل النَّمّام** هو الذي يكون مع القوم يتحدَّثون فَيَنمّ عليهم، **والقتّات** هو الذي يتسمَّع على القوم وهم لا يعلمون فينمّ حديثهم وقوله عليه السلام: «**الجنّة محرَّمة على القتّاتين المشّائين بالنَّميمة**» هو بمنزلة التأكيد للعبارة الأولى. والقتّات أيضاً: **بائع القَتّ**"..." **وهي الرّطب من علف الدوابّ ويابسه**، وعن الأزهري: **ألقَتُّ حبُّ برّي لا يُنْبِته الآدمي، فإن كان عام قَحْطٍ وفَقَد أهل البادية ما يقتاتون به من لبن وتمر ونحوه دقّوه وطبخوه [واكتفوا] به على ما فيه من الخشونة**.

* ق ت د: في الحديث «**إنَّ لصاحب هذا الأمر غَيبة، المُتمسِّك فيها بدينه كَالخارط للقَتَاد**» [والقتاد] **كَسَحَاب**: شجرٌ صلب، شَوْكه كالإبَر تُضرب فيه الأمثال. و(القَتَد) بالتَّحريك: خشب الرَّحل، وجمعه أقتاد وقُتود.

(مجمع البحرين، الشيخ الطريحي)

تاريخ

زاوية مخصصة لأوراق من التاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسية

..دَفْناً دَفْنا

قال المطرّف بن المغيرة بن شعبة: دخلتُ مع أبي على معاوية، وكان أبي يأتيه فيتحدّث معه ثمّ ينصرف إليّ، فيذكرُ معاويةَ وعقلَه، ويُعجَب بما يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسكَ عن العشاء، ورأيتُه مُغتمّاً فانتظرتُه ساعة، وظننتُ أنّه لِأَمرٍ حدثَ فينا.

فقلت: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟، فقال: يا بُنيّ جئتُ من عند أكفرِ النّاسِ وَأَخْبَثِهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلتُ له [لمعاوية] وقد خلوتُ به: إنّك قد بلغتَ سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرتَ عدلاً وبسطتَ خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرتَ إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلتَ أرحامَهم، فوالله ما عندَهم اليومَ شيءٌ تخافه، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكرُه وثوابُه.

فقال: هيهاتَ هيهات، أيّ ذكرٍ أرجو بقاءَه؟ مَلكَ أخو تَيْمٍ فَعدَل، وفعلَ ما فعل، فما عدا أنْ هلكَ حتّى هلكَ ذِكرُه، إلّا أن يقولَ قائل: أبوبكر، ثمّ ملك أخو عديّ، فاجتهد وشمّر عشرَ سنين، فما عدا أنْ هلكَ حتّى هلكَ ذِكرُه، إلّا أن يقولَ قائل: عمر، وإنّ [محمّداً] ليُصاح به كلّ يوم خمسَ مرّات [الأذان]، فأيُّ عملٍ يبقى وأيُّ ذِكرٍ يدوم بعدَ هذا لا أباً لك، لا واللهِ إلّا دَفناً دَفناً!

(شرح النهج، إبن أبي الحديد)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

حِمْص

حِمْص: بالكسر ثمّ السُّكون، والصّاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مُسوَّر، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطّريق، قال أهل السِّيَر: حمص بناها اليونانيُّون، وزيتونُ فلسطين من غرسِهم.

حاصرها خيلٌ من المسلمين بدايةً وأقاموا على الأرنط، وهو النهر المسمّى بالعاصي، فلمّا فتح أبو عبيدة ابن الجراح مدينة دمشق، قدم حمص على طريق بعلبك، فنزل بباب الرّستن فصالحه أهل حمص على أنْ أمَّنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم. وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومشهد أبي ذر الغفاري، وقبر سفينة مولى رسول الله، واسمه مهران، وبها قبر قنبر مولى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قتله الحجّاج وقتل ابنَه، وبها قبورٌ لأولاد جعفر بن أبي طالب، وهو جعفر الطيّار.

وحِمْص أيضاً بالأندلس، هكذا يسمّون مدينة إشبيلية، وذلك أنّ جنداً من حِمص دخلوها فسُمّيت بهم.

(معجم البلدان، الحَموي) بتصرّف

فِداكَ دَمِي، رُحماك..

الشاعر: علي إسماعيل خليل شاهين - لبنان

لقد أشرقتْ من طوسَ شمسٌ بها أُنسي ... فذابت وصالاً في أشعّتها نفسي
وألقت على العشّاق برد معارفٍ ... وراحت بكف اللّطف تمحو به بؤسي
وتُحيي به ميْت البلاد بعطفِها ... وأملأُ من ماء الولاءِ به كأسي
وأرنو إلى ساح الحقيقة والهدى ... وأمضي بسيف الحقّ مكتملاً بأسي
عليُّ بن موسى جوهرُ القدس والعلا ... وليس لفانٍ أن يرى جوهرَ الشمسِ
سميُّ عليٍّ ذا أبو الحسن الرضا ... رؤوفٌ عطوفٌ ضامنُ الجنِّ والإنسِ
فداك دمي رُحماك هاك مدامعي ... فجمرة نار الشوق يعشقُها أنسي
وقفتُ بساح الجود والمَنّ والحجى ... أقول وهذا القولُ يصدُح من نفسي
أبِيتُ على بحرٍ من الدمع والجوى ... عسى فُلك المفتونِ في حيّكم يرسي
متى تنحني الأضلاعُ عند ورودها ... أواوينَ نور الله في مشهدِ القدسِ
فتستاف روحي من زُلال معينِكم ... كما صار نشواناً بكم رجبُ البَرسي
فيا معدنَ الإكسير هاك نفوسَنا ... فصقلاً بذا الإكسير تَبرا من الرجسِ
رميتُ بقوس العشق شمعةَ حبّكم ... فطافت وذابت في الهوى نبلةُ القوسِ
أهيم بدنيا الوجدِ والحبِّ والفنا ... فها كفني أنتم وفيك أرى رمسي
فأنت جنان الخلد فيك خلودنا ... ويوم اتّحاد النور فيه أرى عرسي
عليك سلام العاشقين على المدى ... فأنت جلال الحقّ تسطعُ في طرسي
عليكم صلاة الله ما طاف طائف ... بعرش عُلاكم طبت يا مرقد الأنسِ

الكتاب: «المجلسيّة: آداب المجلس الدينيّة والإجتماعيّة»
المؤلف: السيّد علي الحسيني المَيْبَدي (ت ١٣١٣ هجريّة)
تحقيق: السيّد أحمد الحسيني
الناشر: «مجمع الذخائر الإسلاميّة»، قم ٢٠٠٥

هذا الكتاب – الرّسالة، هو باكورة مؤلّفات الفقيه السيد علي الحسيني المَيبدي المنشورة ضمن سلسلة «تراث العلّامة الميبدي»، والصادرة عن «مجمع الذخائر الإسلاميّة» في قمّ المقدّسة.

يستهلّ المؤلّف رسالته ببيان معنى «المجلس» في اللّغة وفي العُرف وفي الأخبار، ثمّ يتطرّق في الباب الأوّل إلى السبب الدّاعي إلى عقد المجلس، منبّهاً إلى أنّ الأحكام الخمسة التكليفيّة تجري فيه، وأنّ عقدَه لا يكون إلّا مقدّمة لما يقع فيه، وعليه فإنّ ترتُّب الثواب والعقاب على الأسباب الموجبة للعقد مقطوعٌ به على ضوء الأيات والأخبار.

ثمّ يتطرّق العلّامة الميبدي ﷺ في الأبواب التالية إلى أحكام الحضور في المجلس، وإلى كيفيّته؛ من قبيل استقبال القبلة، وتجنّب عقده في الأسواق أو في الأمكنة الباعثة على الرّيبة. أمّا البابان الأخيران -الرابع والخامس- فخُصّصا لبيان أحكام الورود والجلوس إلى وقت القيام، والأمور المتعقّبة عن المجلس. وجاءت خاتمة هذه الرسالة تحت عنوان: «في بيان مساحب ذيل المقام ومدى جرائده»، تناول فيها الكليّات الفقهيّة الواجب استحضارها عند تطبيق أحكام المجلس وما يتّصل به.

يُشار إلى أنّ الكتاب يتضمّن ترجمة وافية للمؤلّف الميبدَي المتحدّر من «مَيبد» ما بين مدينتَي أصفهان ويزد في إيران.

الكتاب: «نظريّة ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهوريّة إيران الإسلاميّة»
تأليف: الشيماء الدمرداش العقالي
الناشر: «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، بيروت ٢٠١١

هذا الكتاب «نظريّة ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلاميّة» للباحثة المصريّة الشيماء الدمرداش العقالي، من الكُتب الصّادرة حديثاً عن «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي» في بيروت، وهو يهدف إلى إلقاء الضّوء على نظريّة «ولاية الفقيه» وأصولها في الفقه الشّيعي، واجتهادات فُقهاء الشّيعة منذ بدء «عصر الغَيْبة» لاستجلاء النظريّة وشرح معطياتها، ثمّ مراحل تحوُّل النظريّة من نظريّة عقائديّة إلى منهج سياسي قامت على أساسه الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب وتسعة فصول، جاءت على الشكل التالي:

- الإمامة مدخل إلى ولاية الفقيه.
- دولة ولاية الفقيه.
- تطبيقات النظريّة في عهد الإمام الخميني، والرّئيسين رفسنجاني وخاتمي.

الكتاب: «العلّامة الشيخ خليل ياسين: المؤلّفات الكاملة»
المؤلِّف: الشيخ خليل ياسين (ت ١٩٨٤ م)
الناشر: « دار العلم والحكمة»، بيروت ٢٠١٠

تشمل هذه المجموعة مؤلّفات العلّامة الشيخ خليل ياسين ﷺ، من تلامذة المرجع الدّيني الكبير آية الله السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد محمد الحسين كاشف الغطاء، وهي تضمّ ستّة كتُب:

-إثبات الصّانع (قراءة فلسفيّة وعقليّة).
-النبيّ محمّد ﷺ عند علماء الغرب.
-الإمام عليّ ﷺ: رسالة وعدالة.
-أضواء على متشابهات القرآن الكريم (يحتوي على ١٦٠٠ سؤال وجواب).
-حلّ مشكلات القرآن الكريم (يحتوي على ٤٠٠ سؤال وجواب).
-مجالي الغرر (ديوان شعر).

ومع المجموعة صدر كتاب بعنوان «العلّامة الشيخ خليل ياسين: في سيرته وتراثه» يترجم للمؤلّف بقلم ابنه الدكتور محمد ياسين.

الكتاب: «الجريمة الغربيّة»
تأليف: فيفيان فورستر
الناشر: «Fayard»

في كتابها الصّادر حديثاً في فرنسا تحت عنوان «الجريمة الغربيّة»، تسعى الباحثة الفرنسيّة فيفيان فورستر إلى رَصْد منطق الصّراع الفلسطيني - «الإسرائيلي»، والعوامل الجيوبوليتيكيّة التي لا تزال تحكمه منذ أكثر من نصف قرن. ويَنْحو كتابها هذا المَنْحى النَّقدي لسياسات الغرب واستراتيجيّاته حيال الإحتلال الصّهيوني لفلسطين.

وهي تُبيّن كم كان لصراع النّفوذ على المنطقة من آثار مدمِّرة على كلّ دُوَل ومجتمعات الشّرق الأوسط بسبب السّياسات العنصريّة «الإسرائيليّة» والدَّعم الأميركي - الغربي الذي تتلقّاه.

الكتاب: «معاني القرآن الكريم بالألمانيّة»
الترجمة: رودي باريت
الناشر: Ahoda International Vertage، ٢٠١١

صدرت حديثاً التّرجمة الألمانيّة لمعاني القرآن الكريم، وقد تولّى هذه المهمّة المستشرق الألماني رودي بارت، وقام فريق مُتخصّص من «وزارة الإرشاد» و«مؤسّسة دار القرآن الكريم» في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بمراجعة التّرجمة وتدقيقها على النَّحو الذي يوافق روح الكتاب العزيز.

يتناول هذا الكتاب ترجمة المعاني القرآنيّة بشكلٍ منهجيّ، أي حسب ترتيب السُّوَر المباركة الواردة في المصحف الشريف.

يُذكر أنَّ للباحث والمُستشرق الألماني رودي بارت أعمالاً كثيرة في مجال ترجمة التُّراث الدِّيني الإسلامي، وخصوصاً ما يدور من دراسات وأبحاث حول القرآن الكريم.

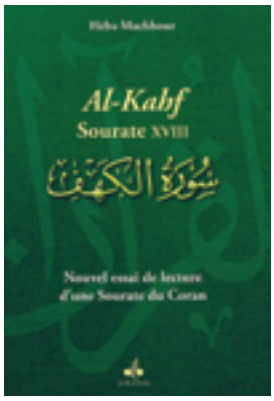

الكتاب: «ترجمة وتفسير سورة الكهف»
تأليف: هبة المشهور
الناشر: «دار البراق»، بيروت ٢٠١١

صدر حديثاً في فرنسا كتاب بعنوان «سورة الكهف» للكاتبة هبة مشهور، وهو تفسير وشرح للسورة القرآنية المباركة باللّغة الفرنسية.

يتناول الكتاب خاصيّة القصّ في القرآن الكريم، وما تحتويه من معانٍ مقدّسة، مع وقفة تفصيليّة عند المعاني المجازيّة والأبعاد المعنويّة وأسباب نزول هذه السورة القرآنيّة المباركة، التي تتناول قصّة أصحاب الكهف، وقصّة النبيّين موسى والخضر عليهما السلام، وقصّة ذي القرنين.

الكتاب: «آراء أهل المدينة الفاضلة»
المؤلّف: أبو نصر الفارابي
ترجمة وتعليق: آمور شيرني
الناشر: «الدار الشرقيّة»، باريس ٢٠١١

صدرت حديثاً عن «الدار الشرقيّة» في باريس ترجمة كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة» للفيلسوف المسلم أبي نصر الفارابي.

يضمّ هذا الكتاب شرحاً وتوضيحاً عن آراء أهل المدينة الفاضلة ومُخالفيهم، ويتناول قضية السعادة التي يطلبها الناس في مسيرتهم ووجودهم.

يقسم هذا الكتاب إلى قسمين: قسمٌ يبحث فيه الفارابي نظريّة الوجود حيث نرى فيها تمييزاً بين الممكن والواجب، أمّا القسم الثاني فهو خاصّ بالمدينة وآراء الجماعة الفاضلة، كما يتطرّق الكتاب إلى مفهوم المُدُن ويُسهب في الحديث عليها.

«منبر الجوادين» (٦١)

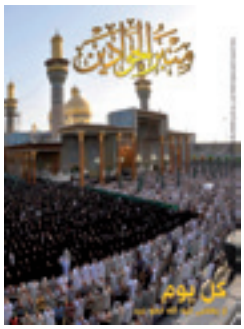

صدر العدد الحادي والستون (شوّال ١٤٣٢) من شهريّة «منبر الجوادين» التي تصدر عن «العتبة الكاظميّة»، وتضمّن تغطية لوقائع صلاة العيد الفطر السعيد في العتبة المقدّسة، وسائر النشاطات التي أُقيمت في رحاب الإمامين الجوادين عليهما السلام خلال شهر رمضان المبارك، وفي طليعتها: إحياء ولادة الإمام الحسن المجتبى وشهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وليالي القدر، والأمسيات والدورات القرآنية لجميع الفئات العمريّة ذكوراً وإناثاً، إضافةً إلى الدورات التأهيليّة العلميّة الخاصّة بعاملي ومنتسبي العتبة المقدّسة، وإقامة معرض للصور الفوتوغرافيّة.

كما تضمّن العدد الجديد من «منبر الجوادين» التي تمتاز بتنوّع مواضيعها وإخراجها الفنّي الرّاقي، وقفة مفصّلة مع أهمّ مناسبات شهر شوّال، لا سيّما شهادة الإمام الصادق عليه السلام تحت عنوان «دور الإمام الصادق عليه السلام في تثبيت معالم الرّسالة»، بالإضافة إلى مواضيع وتحقيقات ولقاءات اجتماعيّة وصحيّة وبيئيّة وثقافيّة عن الإذاعة الداخليّة في العتبة للتواصل مع الزائرين، وطبقة الأوزون، والخانات القديمة في مدينة الكاظميّة والإعلان عن «جائزة الإمامين الكاظمين السنويّة للإبداع الفكري».

يُمكن مطالعة المجلّة عبر الرابط التالي: www.aljawdain.org

«الكرمل الجديد» (١)

صدر مؤخّراً في مدينة رام الله بفلسطين المحتلّة العدد الأول من مجلّة «الكرمل الجديد»، وهي فصليّة ثقافيّة تُعنى بالثّقافة والمعرفة المتّصلة بالقضيّة الفلسطينيّة.

يُذكر أنّ فصليّة «الكرمل الجديد» هي نفسها فصليّة «الكرمل»، التي كانت تصدر في قبرص ويُشرف عليها الشّاعر الفلسطيني الرّاحل محمود درويش، وتَرأّس تحريرها الكاتب السوري سليم بركات.

ساهم في العدد الأوّل الذي خرج بحلّة جديدة عدد من الكتّاب والمفكّرين حول قضايا راهنة تتعلّق بالحراك الجاري في العالم العربي.

من أبرز هؤلاء: سمير أمين، رشيد الخالدي، صبحي حديدي، مهند مصطفى، حسن خضر، بالإضافة إلى قصائد لمحمود درويش تتّصل بالتحوّلات العربيّة ولكنّها لم تنشر في وقتها لأسباب مجهولة.

«إسلاميّة المعرفة» (٦٥)

صدر العدد الجديد من فصليّة «إسلاميّة المعرفة» وهي مجلّة علميّة يصدرها «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» في واشنطن.

جاءت افتتاحية العدد تحت عنوان «أولويّات الإهتمام الفكري والبحثي في ضوء الظُّروف الجارية».

وفي باب البحوث والدراسات نقرأ: نشأة العلوم الإسلاميّة وتطوّرها - ملامح الفكر التربوي عند البخاري - التّأهيل الإسلامي لعلم النّفس - الخطاب الدِّيني في كُتب تعليم اللّغة العربيّة للمرحلة الثانويّة.

أمّا في باب قراءات ومراجعات فقد تضمّن العدد:

-الغَيْب والعقل عند إلياس بلكا.

-القراءة والنّص - دراسة في المنهج الأصولي للباحث أيمن صالح.

-دعوى النّسخ في القرآن الكريم في ضوء واقعيّة الخطاب القرآني.

في صورة الذَّرّ، أو الشيطان

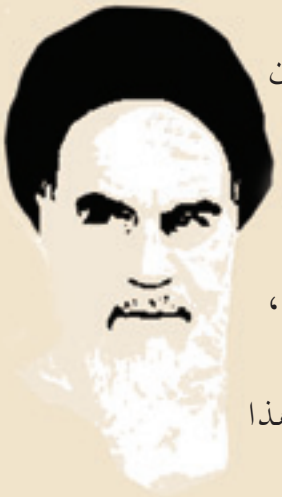

أيها العزيز، أُشدُد عزيمتَك، ومزِّق عن نفسك حُجُبَ الجهل، وانْجُ بنفسك من هذه الورطة المُهلكة!

كان إمامُ المتّقين وسالكي طريق الحقيقة، ينادي في المسجد بأعلى صوته حتى يسمعَه الجيران: «**تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ**»!

ولا زادَ ينفعُك سوى الكمالات النفسانيّة، وتقوى القلب، والأعمال الصالحة، وصفاء الباطن، وخلوص النيّة من كلِّ عَيبٍ وغشّ.

إذا كنتَ من أهل الإيمان الناقص والصّوري، فعليك أنْ تُطهِّر نفسك من هذا الغشّ حتّى تنضمَّ إلى زُمرة السعداءِ والصّالحين.

يزول الغِشُّ بنار التوبة والندم، وبإدخال النّفْس في أَتون العذاب واللّوم، وصهرِها في حرارة النّدامة والعودة إلى الله تعالى.

إنّك إنسان. أَبْعِد نفسَك عن صفات الشيطان، فلعلّ الشيطان يهتمّ بهذه الصفة اهتماماً كبيراً لكونِها صفةً من صفاته. وهي التي أدّت إلى طردِه من حضرة الله تعالى، ولذلك فهو يريد أن يُوقِع لإنسان، عارفاً -كان- أم عاميّاً، عالماً أم جاهلاً، في مثل هذه الرّذيلة، حتى إذا ما لَقِيَكَ يومَ القيامة شَمَتَ بك قائلاً: «يا بنَ آدم، ألم يُخبرك الأنبياءُ بأنّ التكبُّر على أبيك قد طردَني من حضرة الحقّ. لقد نزلتْ عليَّ لعنةُ الله لأنّي احتقرتُ مقامَ آدمَ واستعظمتُ مقامي، فلماذا أوقعتْكَ نفسُك في هذه الرذيلة؟».

عندئذ تصبح -أيّها المسكين- موضعَ شماتةِ أَرْذَلِ مخلوقات الله تعالى، وأَحَطِّها، فضلاً عن عذابك وابتلاءاتك وندامتك وحسرتك، ممّا يعجزُ الكلامُ عن وصفه.

إنّ الشيطان لم يكن قد تكبّر على الله تعالى، بل على آدم وهو من مخلوقات الحقّ، فقال: ﴿ ..خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ الأعراف:١٢، فاستعظمَ نفسَه واستحقرَ آدم. وأنت تستصغرُ بني آدم وتستكبرُ بنفسك عليهم، فأنت أيضاً تَعصي أوامر الله تعالى. لقد قال لك تعالى: كُن متواضعاً مع عباد الله. ولكنّك تتكبّرُ عليهم وتتعالى. فلماذا تلعنُ الشيطانَ وحدَه؟ أَشْرِكْ نفسَك الخبيثةَ معه في اللّعن أيضاً، مثلما أنت شريكُه في هذه الرّذيلة. إنّك من مظاهر الشيطان، بل إنّك تُجسِّدُ الشيطان. ولَرُبّما كانت صورتُك في البرزخ وفي يوم القيامة صورةً شيطانيّة. فإنّ المقياس في صورة الإنسان في الآخرة الملكاتُ الحاصلةُ للنَّفْس، فليسَ هناك ما يمنعُ من أن تكونَ على صورةِ شيطان، أو على صورة نملةٍ صغيرة، إنّ موازينَ الآخرة تختلفُ عن موازين الدنيا.